تأييد الحقيقة العلية

وتشييد الطريقة الشاذلية

تأليف

الامام المجتهد خاتمة الحفاظ

أبى الفضل جلال الدين عبد الرحمن

ابن أبى بكر السيوطى رضى الله عنه

المتوفي سـنة ٩١١

صححه وعلق عليـه

عبد الله بن محمد بن الصديق الغمارى الحسنى عفى عنه

أحد علماء الأزهر

طبع على نفقة

خادم الأعتاب الصديقية

الحاج زكي شكار

سـنة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م

المطبعة الاسلامية

عبد المعطي احمد الحسيني

مقـــــدمة

علم التصوف هو العامل الوحيد فى تهذيب النفوس وتطهيرها من دنس الأخلاق الذميمة . فهو دائما يدعوالى التخلق بكل فضيلة . ويأمر بالتخلى عن كل رذيلة . غيرأنه أصيب بشيئين شوهامنظره الرائع . دعى يتخذه شركا يقتنص به ماسولت له نفسه الخبيثة من لذة زائلة . وشهوة حائله . وغبى يرميـه بنبال الاعتراض . ويعمد إلى مايقضى على دعائمه بالانقضاض . كاد هـذان يقضيان عليه لولاأن الله قيض له أئمة نفواعنه تحريف القالين . وانتحال المبطلين . وألفوا لنصره مؤلفات فيها الـكثير الطيب والجيد والاجود . وان من أجودها كتاب تأييد الحقيقة العلية . وتشييد الطريقة الشاذلية . فهو الـكتاب الذى تتجلى فيه محاسن التصوف بكامل معانيها . تفاتحك طالعته بذكر الأئمـة الذين عظموا شأن التصوف ورفعوا منارأهله . كالحافظ أبى نعيم والحافظ ابن الصلاح وأبى طالب المـكى وأبى حامد الغزالى والعز ابن عبد السلام والتقى السبكى وابنه التاج وأضرابهم . مع مايتخلل ذلك من بيان منشأ التصوف وسبب تسميته بهذا الاسم وذكر سند القوم فيـه مسلسلا متصلا بصاحب الشريعة صلوات الله عليه وعلى آله . ثم يتخلص الى تناول عادات القوم كالسماع والرقص فيقرر دلائلها ويطعن فى صـدر من قدح فيها . هناك يختم الـكتاب بالجواب عن كلمات صدرت من بعض أكابر القوم كالحلاج وابن العربى وابن سبعين وابن الفارض . أعوزت غيرهم ممن لم يذق ذوقهم واعتاصت على أفكارهم . هذا إلى حلاوة المعانى وحسن التعبير . وإحكام المبانى ونهاية التحرير . وسيعلم القارئ

إذا هو رأى الكتاب أنى ما وصفته حق وصفه . فليعذرنى فماذا عسى أن أقول فى كتاب حرره يراع ذاك الامام . علامة الأنام . خاتم حفاظ الاسلام . مجدد القرن التاسع أبى الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابن كمال الدين أبى بكر الخضيرى السيوطى المولود سنة ٨٤٩ والمتوفى سنة ٩١١ هجرية وشهرته العلمية تغنى عن الافاضة فى ترجمته ·

لذلك أردت تعميم النفع به فقمت بنشره خدمة للصوفية خصوصا ولأهل العلم والدين عموما . وألقيت عهدة تصحيحه على حضرة صاحب السماحة والسيادة السيد عبدالله ابن شيخنا مجدد العصر وعالم الدهر حجة الله البالغة ومنته السابغة سيفه القاطع لأعناق المبتدعين والداعى إلى سنة سيد المرسلين محي الطريقة بالحق والتحقيق سيدنا محمد ابن السيد الصديق الغمارى الحسنى الشاذلى رضى الله عنه . فقام بذلك على الوجه الذى يراه القارئ وعانى فيه (لتصحيف الأصل المنقول عنه ووقوع النقص فيه) أيما عناء فله منى جميل الثناء . ومن الله جزيل الجزاء .

تحريراً فى ٢٥ من ذى القعدة سنة ١٣٥٢ ﻫ الحاج شكاره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اعلم وفقنى الله وإياك أن علم التصوف فى نفسه علم شريف رفيع قدره سنى أمره لم تزل أئمة الاسلام وهداة الأنام قديماً وحديثا يرفعون مناره ويجلون مقداره ويعظمون أصحابه ويعتقدون أربابه فانهم أولياء الله وخاصته من خلقه بعد أنبيائه ورسله غير أنه دخل فيهم قديما وحديثا دخيل تشبهوا بهم وليسوا منهم وتكلموا بغير علم وتحقيق فزلوا وضلوا وأضلوا فمنهم من اقتصر على الاسم وتوسل بذلك إلى حطام الدنيا ومنهم من لم يتحقق فقال بالحلول وماشابهه فأدى ذلك إلى إساءة الظن بالجميع وقد نبه المعتبرون منهم على هذا الخطب الجليل ونصوا على أن هذه الأمور السيئة من ذلك الدخيل وقد وضعت هذه الكراسة وسميتها تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية مرتبة على فصول جعلها الله خالصة لوجهه ورزقنا الصدق فى المقاصد والسلامة من الخطأ والخطل وشبهه ﴿ فصل ﴾ الأصل فى علم الحقيقة أحاديث وآثار ﴿ فصل ﴾ منها ما أخرجه الشيخان عن أبى بن كعب عن النبى ﷺ أن موسى قال للخضر هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معى صبرا ياموسى إنى على علم من علم الله علمنيه لا ينبغى لك أن تعلمه وأنت على علم علمك الله لا ينبغى لى أن أعلمه أى جميعه وكذا قوله لا ينبغى لك أن تعلمه أى جميعه قال الحافظ ابن حجر وتقدير ذلك معتبر لأن الخضر كان يعرف من الحكم الظاهر مالا غنى للمكلف عنه وموسى كان يعرف من الحكم الباطن مايأتيه بطريق الوحى وقال الشيخ سراج الدين البلقينى فى

الحديث هذا قد يشكل فان العلم المذكور فى الجهتين كيف لاينبغى علمه قال وجواب هذا الاشكال أن علم الحقائق والكشوف ينافى علم الظاهر فلا ينبغى للعالم الحاكم بالظاهر الذى هو مكلف به أن يعلم الحقائق للتنافى ولا ينبغى للعالم بالحقيقة أن يعلم العلم الظاهر الذى ليس مكلفا به الذى ينافى ماعنده من الحقيقة قال ويمكن حمل العلم على تنفيذه والمعنى لا ينبغى لك أن تعلمه لتعمل به لأن العمل به مناف لمقتضى الشرع ولا ينبغى لى أن أعلمه فأعمل بمقتضاه لأنه مناف لمقتضى الحقيقة قال فعلى هذا لا يجوز للولى التابع للنبى ﷺ اذا اطلع على حقيقة أن ينفذ ذلك بمقتضى الحقيقة وإنما عليه أن ينفذ الحكم الظاهر انتهى

﴿ فصل ﴾ ومنها حديث عمر فى سؤال جبريل عن الاحسان قال رسول الله ﷺ أن تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك أخرجه الشيخان (١) قال الهروى فى منازل السائرين هذا الحديث إشارة جامعة لمذهب هذه الطائفة قال شارحه لأن أصل هذه الطريقة الخاصة كمال المعرفة ودوام المراقبة للحق سبحانه فى الحركات والسكنات بل فى الأنفاس واللحظات حتى يستولى سلطان الحق على القلوب فيضمحل ماتعلقت به أو سكنت اليه من الأحوال والخطوب

﴿ فصل ﴾ ومنها ماأخرجه الطبسى فى ترغيبه قال أنبأنا القاضى أبو بكر أحمد بن الحسن أنبأنا أبو على حامد بن محمد الرفا الهروى أنبأنا نصر بن أحمد البرزجانى حدثنا عبد السلام بن صالح حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن من العلم كهيئة المكنون لايعلمه إلا أهل العلم بالله فاذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله

---

(١) كذا قال المؤلف مع أن الحديث لم يخرجه إلا مسلم وقد وافقه البخارى على روايته من حديث أبى هريرة ورواه البخارى فى خلق أفعال العباد والبزار عن أنس باسناد حسنه الحافظ ورواه أحمد عن ابن عباس وأبى عامر الاشعرى باسناد حسن ورواه الطبرانى باسناد رجاله موثقون عن ابن عمر وأبو عوانة فى صحيحه عن جرير بن عبد الله البجلى وفيه خالد بن يزيد العمرى قال الحافظ لايصلح للصحيح

هذا إسناد ضعيف عبدالسلام بن صالح هو أبو الصلت الهروى من رجال ابن ماجه كان رجلا صالحا لكنه شيعي وقد اختلف فيه فقال أبو حاتم لم يكن عندى بصدوق وضرب أبو زرعة على حديثه وقال العقيلى رافضى خبيث وقال النسائى ليس بثقة وقال ابن عدى متهم وقال الدارقطنى رافضى متهم (١) بوضع حديث

(١) هذا الاتهام مردود فان أبا الصلت لم ينفرد به بل تابعه عليه غيره ممن هو أجل منه وأوثق وبيان ذلك أن الحديث رواه ابن ماجه عن سهل بن أبى سهل ومحمد بن إسماعيل والطبرانى عن معاذ بن المثنى والبيهقي فى الشعب من طريق على ابن عبد العزيز أربعتهم قالوا ثنا أبو الصلت الهروى ثنا على بن موسى الرضى ثنا أبى موسى ثنا أبى جعفر عن أبيه محمد بن على عن أبيه على بن الحسين عن أبيه الحسين عن أبيه على كرم الله وجهه مرفوعا الايمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان تابع أبا الصلت على روايته عن على بن موسى الرضى حفيده الحسن بن محمد بن على بن موسى وأخوه عبد الله بن موسى وعلى بن غراب ومحمد ابن زياد السهمى ومحمد بن أسلم فمتابعة الحسن رواها الشيرازى فى الألقاب ومتابعة عبد الله رواها ابن السنى فى كتاب الاخوة والأخوات ومتابعة على بن غراب رواها الخطيب ومتابعة محمد بن زياد رواها الصابونى في المائتين ومتابعة محمد بن أسلم رواها البيهقى فى الشعب مقرونة برواية أبى الصلت وتابعه أيضاً الحسن بن على التميمى الطبرستانى عن محمد بن صدقة العنبرى عن موسى بن جعفر وأحمد بن عيسى ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب العلوى عن عباد بن صهيب عن جعفر رواهما تمام فى فوائده ثم إن للحديث شاهدا بلفظه وبمعناه فالأول رواه الشيرازى فى الألقاب من طريق الحسن بن بشر عن عيسى بن إبراهيم عن الزهرى عن عروة عن عائشة مرفوعا به والثانى رواه البيهقي في الشعب من طريق عبد الرحمن بن فروخ عن عبد الله بن أبى قتادة عن أبيه مرفوعا من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذل بها لسانه واطمان بها قلبه لم تطعمه النار فكيف يصح اتهام الرجل مع وجود هذه المتابعات والشواهد .

الايمان إقرار بالقول وقال العباس الدورقى سمعت يحيي يوثق أبا الصلت وقال محمد بن محرز عن يحيي ليس ممن يكذب وأثنى عليه أحمد بن سيار فى تاريخ مرو وقال كان يعرف بالتشيع فناظرته لاستخراج ماعنده فلم أره يفرط رأيته يقدم أبا بكر وعمر ولا يذكر الصحابة الا بالجميل وقال لى هذا مذهبي الذى أدين الله به قلت فالحاصل أن حديثه فى مرتبة الضعيف الذى ليس بالموضوع وقد أورد القطب القسطلانى هذا الحديث فى كتابه فى التصوف وقال إن له شاهداً من مرسل سعيد بن المسيب وأورد فيه حديث أنس مرفوعا العلم علمان فعلم ثابت بالقلب فذاك العلم النافع وعلم فى اللسان فذلك حجة الله على عباده وهذا الحديث أخرجه أبو نعيم والديلمى فى مسند الفردوس (١) وأورد الهروى فى منازل السائرين بسنده من طريق الجنيد عن السرى عن معروف الكرخى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على مرفوعا طلب الحق غربة وهذا الحديث أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس بسند مسلسل بالصوفية (٢) وأورده القطب القسطلانى فى كتابه وقال يحتمل أن يريد بقوله طلب الحق الله سبحانه وتعالى فانه هو الحق المطلق ويطلق على غيره بلواحق وقيود وبالغربة البعد عن حظوظ النفس وشهواتها ويحتمل أن

---

(١) باسناد ضعيف ورواه الخطيب فى التاريخ من طريق الحسن عن جابر باسناد حسن كما قال الحافظان زكى الدين المنذرى وزين الدين العراقى وأعله ابن الجوزى فلم يصب ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف والحكيم الترمذى في نوادر الأصول وابن عبد البر في العلم من طريق هشام عن الحسن مرسلا باسناد صحيح ورواه البيهقى عن الفضيل بن عياض من قوله .

(٢) قال أنا أبو بكر أحمد بن سهل السراج الصوفى اذنا عن أبى طالب حمزة ابن محمد الجعفرى عن عبد الواحد بن أحمد الهاشمى عن أحمد بن منصور بن يوسف الواعظ عن علان بن يزيد الدينورى عن جعفر بن محمد الصوفى عن الجنيد عن السرى السقطي به .

يريد ماهو ثابت وطلبه مشروع من الأعمال المقربة وبالغربة القلة وعزة الوجود لعدم المساعد على حصول المقصود كما فى الحديث الآخر بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدا فطوبى للغرباء (١) وأورد القطب أيضاً قول عيسى عليه السلام العلماء ثلاثة عالم بالله وبأمر الله وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله وأورد عن سفيان الثورى (٢) قال العلماء ثلاثة عالم بالله يخشى الله ليس بعالم بأمر الله وعالم بالله عالم بأمر الله يخشى الله فذلك العالم الكامل وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله لايخشى الله فذلك العالم الفاجر ﴿ فصل ﴾ ومنها ماأخرجه الديلمى فى مسند الفردوس (٣) بسند مسلسل من طريق أحمد بن غسان عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن عن حذيفة مرفوعا سألت جبريل عن علم الباطن ماهو فقال قال الله هو سر بينى وبين أحبائى أودعه فى قلوبهم وأخرجه من وجه

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة وقد ورد معناه من حديث ابن مسعود وأنس وسلمان وسهل بن سعد وابن عباس وابن عمر وعمرو بن عوف المزنى وعبد الرحمن ابن سنة الأشجعى وسعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن سمرة ابن حبيب العبسى ومن مرسل مجاهد .

(٢) قال المؤلف في الدر المنثور أخرج ابن أبى حاتم من طريق سفيان عن أبى حيان التيمى عن رجل قال كان يقال فذكر نحوه .

(٣) قال أنا فيد أنا أبو مسعود البجلى أنا السلمى يعنى أبا عبد الرحمن أنا أبو بكر محمد بن على الزراد النهاوندى ثنا أحمد بن الحسين بن عمران الأنصارى أنا أحمد بن يعقوب بن نصر قال سألت أحمد بن غسان عن علم الباطن الخ وفى هذا السند غير عبد الواحد بن زيد من لايعرف كما قال المؤلف فيما بعد ثم إن الحسن لم يلق حذيفة ولذا قال الحافظ فى زهر الفردوس هذا موضوع وأخرج ابن الجوزى في العلل المتناهية وأبو عبد الرحمن السلمي فى الأربعين باسناد ضعيف عن على عليه السلام مرفوعا علم الباطن سر من سر الله وحكم من حكم الله يقذفه الله فى قلب من يشاء من عباده .

آخر عن أحمد بن غسان به بلفظ سألت جبريل عن الاخلاص (١) ماهو وهومسلسل بسؤال كل راولشيخه عن ذلك وقال الذهبي فى الميزان عبد الواحد ابن زيد البصري الزاهد شيخ الصوفية وواعظهم لحق الحسن وغيره ضعفه النقاد فقال ابن معين ليس بشيء وقال البخارى تركوه وقال الجوزقانى سيء المذهب ليس من معادن الصدق وقال الذهبي له مناكير مع أنه كان مجاب الدعوة حدث عنه وكيع وأبو سليمان الدارانى وقال إنه صلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة انتهى وفى رجال الاسنادين سواه من لا يعرف ﴿فصل﴾ أخرج الفريابى فى تفسيره (٢) عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ لكل آية ظهر وبطن قال ابن النقيب فى تفسيره ظهر الآية ماظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر وبطنها ماتضمنته من الأسرار التى أطلع الله عليها أرباب الحقائق (٣)

(١) كذلك أخرجه القشيرى فى الرسالة عن شيخه أبي عبد الرحمن السلمى وكذا أخرجه القزوينى وابن ناصر الدين الدمشقي والحافظ أبو مسعود الاصبهانى فى مسلسلاتهم من طرق مدارها على أحمد بن غسان باسناده السابق .

(٢) قال ثنا سفيان عن يونس بن عبيد عن الحسن مرفوعا لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع ورواه أبو عبيد قال ثنا حجاج عن حماد ابن سلمة عن على بن زيد عن الحسن يرفعه إلى النبي ﷺ وعلي آله قال مانزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن الحديث إسناده الأول على شرط الصحيح والثانى على شرط الحسن غير أنه مرسل وقد وصل صدره أبو يعلى في الكبير باسناد رجاله ثقات عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن وروى الديلمى في مسند الفردوس من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعا القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحاج العبد وروى الطبرانى والبزار عن ابن مسعود موقوفا إن هذا القرآن ليس منه حرف إلا له حد ولكل حد مطلع .

(٣) هذا أحد الأقوال فى معنى الظهر والبطن والثانى أن الظهر اللفظ والبطن

وأخرج أبو نعيم (١) عن ابن مسعود قال إن القرآن أنزل على سبعة أحرف مامنها حرف الاله ظهر وبطن وإن على بن أبى طالب عنده منه علم الظاهر والباطن وأخرج أبو نعيم (٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كنا نتحدث أن النبى صلى الله عليه وسلم عهد إلى على سبعين عهداً لم يعهد إلى غيره وسيأتى لهذا مزيد كلام فى فصل مستقل آخر الكتاب ﴿فصل﴾ قال صاحب التعرف ممن نطق بعلوم القوم وعبر عن مواجيدهم ونشر مقاماتهم ووصف أحوالهم قولا وفعلا بعد الصحابة على بن الحسين زين العابدين وابنه محمد الباقر وابنه جعفر الصادق وأويس القرنى والحسن البصرى وأبو حازم سلمة بن دينار ومالك بن دينار وعبد الواحد بن زيد وعتبة الغلام وإبراهيم بن أدهم

التأويل والثالث أن الظهر صورة القصة مما أخبر الله عن غضبه على قوم وعقابه إياهم والبطن التنبيه لمن يقرأ ويسمع من الأمة وتحذيرهم أن يفعلوا مثل فعلهم وارتضى هذا أبو عبيد مع كونه خاصا بالقصص والحديث عام والرابع أن الظهر تنزيله الذى يجب الايمان به والبطن وجوب العمل به والخامس أن الظهر تلاوته كما أنزل والبطن التدبر والتفكر فيه وقد يستأنس لهذا بما رواه محمد بن نصر عن عمير بن هانىء أن الصحابة قالوا يارسول الله إنا لنجد للقرآن منك مالا نجده لأنفسنا إذا نحن خلونا قال أجل أنا أقرأه لبطن وأنتم تقرؤنه لظهر قالوا يارسول الله ما البطن قال أقرأ أتدبره وأعمل بما فيه وتقرؤنه أنتم هكذا وأشار بيده فأمرها وبقيت أقوال أخر أضربنا عنها الذكر صفحاً لضعفها وأما الحد فقيل إنه الغامض من المعانى وأن المطلع ما يتوصل به إلى معرفته وقيل الحد أحكام الحلال والحرام والمطلع الاشراف على الوعد والوعيد وقيل غير ذلك .

(١) قال ثنا أبو القاسم نذير بن جناح القاضى ثنا إسحق بن محمد بن مروان ثنا أبى نا عباس بن عبيد الله نا غالب بن عثمان الهمدانى أبو مالك عن عبيدة عن شقيق عن عبد الله به .

(٢) قال ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا أحمد بن محمد الجمال ثنا أبو مسعود

والفضيل بن عياض وابنه على وداود الطائى وسفيان الثورى وأبو سليمان الدارانى وابنه سليمان وأحمد بن أبى الحوارى وذو النون المصرى فى آخرين وذكر غيره أن على بن أبى طالب أول من نهج الطريق ثم ابنه الحسن ﴿ فصل ﴾ أما كلام على فاشهره وهو الذى أورده كثير من الصوفية فى كتبهم ما أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١) عن الكميل بن زياد قال أخذ على بن أبى طالب رضى الله عنه بيدى فأخرجنى إلى ناحية الجبان فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال يا كميل بن زياد القلوب أوعية فخيرها أوعاها احفظ ما أقول لك الناس ثلاثة فعالم ربانى ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق الى أن قال إن هاهنا وأشار بيده الى صدره علما لو أصبت له حملة بلى أصبته لقنا غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا يستظهر بحجج الله على كتابه وبنعمه على عباده أو منقادا لأهل الحق لا بصيرة

نا سهل بن عبد ربه نا عمرو بن أبى قبيس عن مطرف عن المنهال بن عمرو عن التميمى عن ابن عباس قال فذكره .

(١) قال ثنا حبيب بن الحسن نا محمد بن إسحق وثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد ابن عثمان بن أبى شيبة قالا ثنا أبو نعيم ضرار بن صرد وثنا أبو أحمد محمد بن محمد ابن أحمد الحافظ ثنا محمد بن الحسين الخثعمى ثنا إسماعيل بن موسى الفزارى قالا ثنا عاصم بن حميد الخياط نا ثابت بن أبى صفية عن عبد الرحمن بن جندب عن كميل بن زياد قال أخذ بيدي على فأخرجنى إلى ناحية الجبان فلما أصحرنا جلس ثم تنفس وقال يا كميل القلوب أوعية فخيرها أوعاها واحفظ ما أقول لك الناس ثلاثة فعالم ربانى ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة ومحبة العالم دين يدان العلم يكسب العالم الطاعة فى حياته وجميل الاحدوثه بعد موته وصنيعة المال بها تزول بزواله مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون مابقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة هاه إن هاهنا الخ .

له في إجابة (١) ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لاذا ولا ذاك أو منهوما باللذات سلس القياد للشهوات مغرى بجمع المال والأولاد (٢) وليس (٣) من دعاة الدين أقرب شبها بالانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم لن تخلو الارض عن قائم لله بحجة لكيلا تبطل حجج الله وبيناته أولئك هم الاقلون عددا الاعظمون عند الله قدرا بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالنظر الأعلى أولئك خلفاء الله في بلاده ودعاته إلى دينه فآها وشوقا إلى رؤيتهم وأما بقية كلام علي وكلام من ذكر معه فسرود في تراجمهم في كتابي المسمى حلية الأولياء وتركت سرده هنا خشية الاطالة ﴿ فصل ﴾ قال عبد الغافر الفارسي أخذ الأستاذ أبو القاسم القشيري طريق التصوف عن الأستاذ أبي علي الدقاق وأخذها أبو علي عن أبي القاسم النصراباذي والنصراباذي عن الشبلي والشبلي عن الجنيد والجنيد عن السري السقطي والسري عن معروف الكرخي ومعروف عن داود الطائي وداود لقي التابعين وهكذا كان يذكر إسناد طريقته ﴿ فصل ﴾ قال الشيخ الامام الحافظ تقي الدين ابن الصلاح امام الشافعية والمحدثين في عصره لبس الخرقة من القرب وقد استخرج لها بعض المشايخ أصلا من سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاصي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بكسوة فيها خميصة فقال من ترون أحق بهذه فسكت القوم فقال إئتوني بأم خالد فأتي بها فألبسها إياها ثم قال أبلي وأخلقي مرتين أخرجه

---

(١) كذا بالأصل وفي الحلية أحيائه.

(٢) في الحلية بدل والاولاد والادخار وهو الصواب.

(٣) في الحلية وليسا بضمير التثنية وهو الصواب ومرجعه المنقاد الذي لا بصيرة له والمنهوم باللذات.

البخارى (١) قال ابن الصلاح ولى فى لبس الخرقة اسناد عالى جدا ألبسنى الخرقة أبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسى قال أخذت الخرقة من أبى الأسعد هبة الرحمن ابن أبى سعيد عبد الواحد بن أبى القاسم القشيرى قال أخذت الخرقة من جدى أبى القاسم وهو أخذها من أبى على الدقاق وهو أخذها من أبى القاسم ابراهيم بن محمد بن حمويه النصراباذى وهو أخذها من أبى بكر دلف بن جحدر الشبلى وهو

(١) وأبو داود وأسنده السهروردى فى العوارف من طريق الحاكم وعزاه صاحب المنح البادية لمسلم فوهم وقد نقل المؤلف كلام ابن الصلاح هذا فى زاد المسير وقال عقبه مالفظه وقد استنبطت للخرقة أصلا من السنة أوضح مما تقدم وهو ماورواه البيهقى فى الشعب عن عطاء الخراسانى أن رجلا أتى ابن عمر فسأله عن إرخاء طرف العمامة فقال عبد الله إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث سرية وأمر عليها عبد الرحمن ابن عوف وعقد لواء وعلى عبد الرحمن عمامة من كرابيس مصبوغة بسواد فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحل عمامته ثم عممه بيده وأفضل موضع أربع أصابع أو نحوها فقال هكذا فاعتم فانه أحسن وأجمل وماورواه أبو داود والبيهقى عن عبد الرحمن بن عوف قال عممنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسدلها بين يدى ومن خلفى اه قلت الحديث الأول رواه الطبرانى فى الأوسط مطولا باسناد حسن والثانى فى إسناده راو لم يسم ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة باسناد ضعيف هذا وأوضح مما استنبطه المصنف ماورواه الطبرانى باسناد حسن عن عبد الله بن بشر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا على بعث فعممه بعمامة سوداء ثم أرسلها من ورائه أو قال على كتفه اليسرى ورواه البغوى في معجم الصحابة وقال لاأحسب لعبد الله صحبة وأخرج ابن أبى شيبة والطبرانى والبيهقى عن على قال عممنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم فسدلها خلفى ولابن شاذان في مشيخته عنه نحوه وللديلمى عن ابن عباس قال لما عمم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليا بالسحاب الحديث فالاستدلال بهذا لالباس الخرقة أنسب لأنها تتصل بعلى عليه السلام .

أخذها من الجنيد وهو أخذها من السرى السقطى وهو أخذها من معروف الكرخي وهو أخذها من داود الطائى وهو أخذها من حبيب العجمى وهو أخذها من الحسن البصرى وهو أخذها من علي بن أبي طالب وهو أخذها من النبي ﷺ قال ابن الصلاح وليس بقادح فيما أوردناه كون لبس الخرقة ليس متصلا إلى منتهاه على شرط أصحاب الحديث (١) فى الأسانيد فان المراد ما يحصل البركة والفائدة باتصالها بجماعة من السادة الصالحين ﴿ فصل ﴾ قال يحي بن عمار التيمي السجستانى العلوم خمسة علم هو حياة الدين وهو علم التوحيد وعلم هو قوت الدين وهو علم العظة والذكر وعلم هو دواء الدين وهو الفقه وعلم هو داء الدين وهو أخبار فتن السلف وعلم هو هلاك الدين وهو علم الكلام انتهى ﴿ فصل ﴾ قال الشافعي رضي الله عنه صحبت الصوفية فلم استفد منهم سوى حرفين

---

(١) هذا على ما رآه تبعا للبخارى وابن معين من عدم ثبوت سماع الحسن من على ونحوه قول ابن الجزرى وقد ساق سنده بلبس الخرقة من طريق الحسن كذا وصلت لنا خرقة التصوف من طريق القوم وأهل الحديث لا يثبتون للحسن سماعا من على مع أنه عاصره بلا شك وثبت أنه رآه وأنه ولد في خلافة عمر وصح أنه سمع خطبة عثمان اه ورأت طائفة منهم الحافظ ضياء الدين المقدسى صحة سماع الحسن من على لتصريحه به فيما رواه أبو يعلى قال أنا جويرية بن أشرس أنا عقبة بن أبي الصهباء الباهلى سمعت الحسن يقول سمعت عليا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره قال محمد بن الحسن الصريفينى هذا نص صريح فى سماع الحسن من على ورجاله ثقات جويرية وثقه ابن حبان وعقبة وثقه أحمد وابن معين اه وأخرج المزى من طريق أبي نعيم باسناده إلى يونس بن عبيد قال قلت للحسن انك تقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم تدركه قال يا ابن أخى لقد سألتنى عن شيء ما سألنى عنه أحد قبلك ولولا منزلتك منى ما أخبرتك إنى فى زمان كما ترى وكان فى زمن الحجاج كل شيء سمعتنى أقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو عن على غير أنى في زمان لا أستطيع أن أذكر عليا .

وفى رواية سوى ثلاث كلمات قولهم الوقت سيف ان لم تقطعه قطعك وقولهم نفسك ان لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل وقولهم العدم عصمة ﴿ فصل ﴾ وقال الشيخ تاج الدين السبكى فى كتابه معيد النعم ومبيد النقم المثال السادس والستون الصوفية حياهم الله وبياهم وجمعنا فى الجنة نحن وإياهم وقد تشعبت الأقوال فيهم تشعبا ناشئا عن الجهل بحقيقتهم لكثرة المبتلين بها قال الشيخ أبو محمد الجوينى لا يصح الوقف عليهم لأنهم لا حد لهم معروف والصحيح الصحة وأنهم المعرضون عن الدنيا المشتغلون فى أغلب الأوقات بالعبادة ومن ثم قال الجنيد التصوف استعمال كل خلق سنى وترك كل خلق دنى وقال الشبلى التصوف ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك وقال ذو النون المصرى الصوفى من اذا نطق أبان نطقه عن الحقائق وإذا سكت نطقت عنه الجوارح وقال ابن بندار التصوف إسقاط رؤية الخلق ظاهراً وباطناً وقال أبو على الروذبارى الصوفى من لبس الصوف على الصفا وأذاق الهوى طعم الجفا ولزم طريق المصطفى وكانت الدنيا منه على القفا وكان الشيخ الامام يقول الصوفى من لزم الصفا مع الحق والخلق الحسن مع الخلق وينشد :

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا　　قدما وظنوه مشتقا من الصوف

ولست أنحل هذا الاسم غير فتى　　صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

وهذه عبارات متقاربة والحاصل أنهم أهل الله وخاصته الذين ترتجى الرحمة بذكرهم ويستنزل الغيث بدعائهم فرضى الله عنهم وعنابهم وللقوم أوصاف وأخبار اشتملت عليها كتبهم قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه ثم جعل قلوبهم معادن أسراره واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره فهم الغياث للخلق والدائرون فى عموم أحوالهم مع الحق ومن أوصاف هذه الطائفة الرأفة والرحمة والعفو والصفح وعدم المؤاخذة وضابطهم ماذكرناه وطريقتهم كما قال أبو القاسم الجنيد طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة وقال الطريق مسدود على خلق

الله الا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ ومن حقهم تربية المريد إذا لاحت عليه لوائح الخير وإمداده بالخاطر والدعاء يحكى عن بعض المشايخ أن تلميذه حضر إليه وهو جالس فى جماعة وقد ارتفع النهار فتفرس الشيخ أنه فى الليلة الذاهبة كان قدار تكب معصية فنظر اليه نظر مغضب ولم يمكنه الافصاح له بمحضر من الجماعة فنظر التلميذ إلى الشيخ نظرة منكر فقام الشيخ وجاء وقبل يد المريد ولم يفهم الجماعة شيئاً فسئل الشيخ بعد ذلك فقال انه البارحة وقع فى الزنا فنظرت إليه نظرة مغضب لذلك فنظر إلى نظر عاتب يقول لو كان خاطرك معى وإمدادك مصاحبى لما وقع منى ذلك فأنت المقصر فقبلت يده لصدقه فان التقصير منى ومن حقهم الوقوف على إظهار ما يطلعهم الله عليه من المغيبات ويخصهم به من الكرامات على الاذن وهم لا يجيزون إظهارها بلا فائدة ولا يظهرونها إلا عن اذن لفائدة دينية من تربية أو بشارة أو نذارة كما قال الصديق لعائشة عند موته إنما هما أخواك وأختاك قالت إنما هى أسماء فمن الاخرى قال ذو بطن بنت خارجة أراها جارية فولدت بعد وفاته بنتا(١) فلم يظهر أبو بكر ذلك إلا لاستطابة قلب عائشة عن استرجاع ما كان يخصها من الارث وكذلك قول عمر (٢) ياسارية الجبل الجبل وقصته فى الزلزلة واجراء النيل وغير ذلك وإنما

---

(١) هذا الاثر أخرجه مالك في الموطأ مطولاً عن عائشة باسناد صحيح على شرط الشيخين .

(٢) أخرج ابن الاعرابى فى كرامات الاولياء والبيهقى فى الدلائل واللالكائى فى شرح السنة والديرعا قولى فى فوائده باسناد حسن عن ابن عمر قال وجه عمر جيشا ورأس عليهم رجلا يدعى سارية فبينما عمر يخطب جعل ينادى ياسارية الجبل ثلاثا ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال ياأمير المؤمنين هزمنا فبينما نحن كذلك إذ سمعنا صوتا ينادى ياسارية الجبل ثلاثا فأسندنا ظهرنا الى الجبل فهزمهم الله تعالى وله طرق بل صححه ابن تيمية وقصة الزلزلة حاصلها ان الارض ارتجت على عهد عمر فضربها بالدرة وقال اسكنى ألم أعدل عليك وكانت تضطرب فسكنت

أظهرها لمصلحة وكرامات عمر أكثر من أن تحصر وهي من تمكنه فى الأرض ظاهراً وباطناً وكونه أمير المؤمنين على الحقيقة وخليفة الله فى أرضه وساكنى أرضه وإذا علمت أن خاصة القوم هم الصوفية فاعلم أنه قد تشبه بهم أقوام ليسوا منهم فأوجب تشبه هؤلاء بهم سوء الظن ولعل ذلك من الله قصداً لخفاء هذه الطائفة التى تؤثر الخمول على الظهور ثم قال وعلى الشيخ تربية المريد وحمل الأذى والضيم على نفسه واعتبار قلوب جماعته قبل قوالبهم والكلام مع كل منهم بحسب ما يقبله عقله وتحمله قواه ويصل اليه ذهنه والكف عن ذكر الفاظ ليس سامعها من أهلها كالتجلى والمشاهدة ورفع الحجاب إذا كان السامع بعيداعنها فأن فى ذكرها له من المفاسد مالا خفاء به بل يأخذ المريد بالصلاة والتلاوة والذكر ويربيه على التدريج والله الله فى الفاظ جرت من بعض سادات القوم لم يعنوا بها ظواهرها وأنما عنوا بها أمورا صحيحة فلا ينبغى للشيخ ذكرها لمريد فأنه يضله مثل مايقال عن بعضهم العلم حجاب فانه مايريد به ظاهر مايفهمه المبتدى منه ولكن له معنى لايناسب حال المبتدى الكشف عنه وغير ذلك من ألفاظ ربما جرى بعضها فى حال السكر

كذا ذكرها ابن السبكي فى معيد النعم ولم أجد لها اسناد او ملخص قصة اجراء النيل أن أهل مصر كان من عادتهم أن يرموا في النيل كل سنة بنتاً بكراً محلاة بالحلى والحلل معتقدين أن النيل لايجرى إلا بذلك فلما فتح عمرو بن العاص مصر وأراد أهلها أن يفعلوا ذلك منعهم وكتب إلي عمر يخبره فكتب عمر اليه بطاقة وأمره أن يرميها فى النيل وهي من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجر وإن كان الواحد القهار يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك فالقاها عمرو في النيل فأجراه الله ستة عشر ذراعا وزالت تلك السنة السوء عن أهل مصر كذا رواها ابن عبد الحكم فى تاريخ مصر وابو الشيخ في العظمة باسناد ضعيف

فانها مما لا يقتدى بها ولا يوجب القدح فى قائلها بل نسلم إليه حاله ونقيم عذره فيما سقط من بين شفتيه حال الغيبة فان الشارع لم يكلف غائب الذهن هذا إذا فقدت أسباب التأويل لكلامه بالكلية ولن تجد ذلك إن شاء الله فى كلام أحد من المعتبرين قد نزه الله ألفاظهم عن الأباطيل وما لهم كلمة الا ولها محمل حسن هذا كله كلام السبكى وقال فى موضع آخر من هذا الكتاب ومن الفقهاء فرقة متنكسة تجرى على ظواهر الشرع وتحسن أوامر الله ونواهيه الا أنها تهزأ بالفقراء وأهل التصوف ولا تعتقد فيهم شيئاً ويعيبون عليهم السماع وأمورا كثيرة والسماع قد عرف اختلاف الناس فيه وتلك الأمور قل أن يفهمها من يعيبها والواجب تسليم أحوال القوم لهم فانا لا نأخذ أحدا الا بجريمة ظاهرة ومتى أمكننا تأويل كلامهم وحمله على محمل حسن لا نعدل عن ذلك لا سيما من عرفناه بالخير ولزوم الطريقة ثم ندرت منه لفظة فانها لا تهدم عندنا ما مضى وقد جربنا فلم نجد فقيها ينكر على غلطة أو سقطة على الصوفية إلا ويهلكه الله وتكون عاقبته وخيمة وهؤلاء القوم لا يعاملون بالظواهر ولا يفيد معهم الا الباطن ومحض الصفا وهم أهل الله وخاصته نفعنا الله بهم وأكثر من يقع فيهم لا يصلح انتهى كلام السبكى بحروفه ﴿ فصل ﴾ قال فى الروضة الوقف على الصوفية حكى عن الشيخ أبى محمد أنه باطل إذ ليس للمتصوف حد يعرف والصحيح المعروف صحته وهم المشتغلون بالعبادة فى أغلب الأوقات المعرضون عن الدنيا وفصل الغزالى فى الفتاوى فقال لا بد فى الصوفى من العدالة وترك الحرفة ولا بأس بالوراقة والخياطة وشبههما إذا تعاطاها أحيانا فى الرباط لا فى الحانوت ولا يقدح قدرته على الكسب ولا اشتغاله بالوعظ والتدريس ولا أن يكون له من المال قدر لا تجب فيه الزكاة ولا يفى دخله بخرجه ويقدح الثروة الظاهرة بالعروض الكثيرة ولا بد أن يكون فى زى القوم الا أن يكون مساكنا فتقوم المخالطة والمساكنة مقام الزى قال ولا يشترط لبس المرقعة من شيخ وكذ ذكر المتولى ﴿ فصل ﴾ قال الغزالى فى جواهر

القرآن مقاصد القرآن ستة سادسها تعريف منازل الطريق وإليه الاشارة بقوله فى الفاتحة إياك نعبد وإياك نستعين وقال الطيبى فى حاشية الكشاف علوم التى هى مناط الدين أربعة كلها فى الفاتحة علم الأصول وعلم الفروع وعلم القصص وعلم ما يحصل به الكمال وهو علم الأخلاق وأجله الوصول إلى الحضرة الصمدانية والالتجاء إلى جناب الفردانية والسلوك لطريقه والاستقامة فيها وإليه الاشارة بقوله وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم ﴿فصل﴾ ويؤخذ من بقية سورة بطريق الاشارة أن ثم طرقا أخرى متشعبة خارجة عن سنن الاستقامة فليحذر منها وهى طريق المغضوب عليهم والضالين ﴿فصل﴾ قال ابن القاص من كبار أصحابنا فى كتابه التلخيص فى الفقه لما عد خصائص النبى ﷺ الواجبة عليه دون سائر الأمة ومنها أنه صلى الله عليه وسلم كان مطالبا برؤية مشاهدة الحق مع معاشرة الناس بالنفس والكلام وذكر هذه الخصيصة أيضاً القضاعى فى سيرته وابن سبع فى خصائصه وحمل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبى فأستغفر الله سبعين مرة(١) وقد ذكر هذه الخصيصة أيضا ابن الملقن فى الخصائص وقال البيهقى فى شعب الايمان ذكر بعض أهل العلم أن الغين شىء يغشى القلب فيغطيه بعض التغطية ويحجبه عما يشاهده وهو كالغيم الرقيق الذى يعرض فى الهوى ولا يكاد يحجب عين الشمس ولا يمنع ضوءها والنبى ﷺ ذكر أنه يغشى قلبه ما هذه صفته وذكر أنه يستغفر الله منه كل يوم مائة مرة ثم قال البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ يعنى شيخه الحاكم صاحب المستدرك قال سمعت الأستاذ أبا سهل محمد بن سليمان يعنى الصعلوكى أحد أئمة الشافعية وهو المبعوث على رأس المائة الرابعة فيما ذكر الأصحاب يقول قوله ليغان على قلبى له تأويلات أحدها يختص به أهل الاشارة وهو حملهم إياه على غشية السكرة التى هى الصحو فى الحقيقة

---

(١) رواه مسلم من حديث الأغر المزنى غير أنه قال وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة

ومعنى الاستغفار عقبها على التحسر للكشف عنها وأهل الظاهر يحملونها على الخطرات العارضة للقلب والطلبات الواردة عليه الشاغلة له بهذه الغشية الملابسة وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى سمعت هذا الحديث فاشكل على معناه فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لى يامبارك ذاك غين أنوار لاغين أغيار ﴿فصل﴾ قال شارح منازل السائرين حقيقة الشيء عند أهل هذا الشان علاماته الدالة عليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لحارثة كيف أصبحت فقال أصبحت مؤمنا حقا فقال إن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك فقال عزفت نفسى عن الدنيا الحديث (١) فأخبره بعلامات صحة الايمان ﴿فصل﴾ ويظهر

---

(١) تمامه فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى وكأنى أنظر إلى عرش ربى وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى أسمع عواء أهل النار فقال مؤمن نور الله قلبه رواه ابن المبارك فى الزهد وعبد الرزاق عن معمر عن صالح بن مسمار زاد عبد الرزاق وجعفر بن برقان ثم اتفقا أن النبي ﷺ قال للحرث بن مالك كيف أصبحت الخ وهو معضل ورواه عبد الرزاق فى التفسير عن الثورى عن عمرو بن قيس الملائى عن يزيد السلمى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكره ورواه الطبرانى من طريق سعيد بن أبى هلال عن محمد بن أبى الجهم وابن منده من طريق سليمان بن سعيد عن الربيع ابن لوط كلاهما عن الحرث بن مالك الانصارى أنه جاء إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يارسول الله أنا من المؤمنين حقاً فقال انظر ماتقول الحديث وفي آخره من سره أن ينظر إلى من نور الله قلبه فلينظر إلى الحرث قال ابن منده ورواه زيد ابن أبى أنيسة عن عبد الكريم بن الحرث عن الحرث بن مالك وأخرجه البزار والبيهقى فى الشعب من طريق يوسف بن عطية عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقي رجلا يقال له حارثة فى بعض سكك المدينة فقال كيف أصبحت ياحارثة الحديث وفى آخره عرفت فالزم مؤمن نور الله قلبه ويوسف لايحتج به لكن تابعه جرير بن عتبة بن عبد الرحمن فرواه عن أبيه عن أنس فيما ذكر ابن منده

لى أن أهل هذا الشأن إنما سموا علمهم علم الحقيقة أخذا من لفظ الحقيقة فى هذا الحديث وقد ظهر لى أن نسبة علم الحقيقة إلى علم الشريعة كنسبة علم المعانى والبيان إلى علم النحو فهو سره ومبنى عليه فمن أراد الخوض فى علم الحقيقة من غير أن يعلم الشريعة فهو من الجاهلين ولا يحصل على شىء كما أن من أراد الخوض فى أسرار علم المعانى والبيان من غير أن يحكم النحو فهو يخبط خبط عشواء وكيف يدرك أحوال الاسناد والمسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل من لم يعرف المبتدأ من الخبر والفاعل من المفعول هذا بين لكل أحد والحقيقة سر الشريعة ولبها الخالص كما أن المعانى والبيان سر النحو ولطائفه والتصوف فقه بلا شك فان أكثره تكاليف واجبة ومندوبة ومنها محرمة ومكروهة وقد نص على أن أبواب التصوف من الفقه جماعة من أهل الأصول حيث ذكروا حد الفقه ووافقهم ابن السبكى فى جمع الجوامع وضم اليه مسائل أصول الدين التى يجب اعتقادها فقال إنها عندى فقه واعلم أن دقائق علم التصوف لو عرضت معانيها على الفقهاء بالعبارة التى ألفوها فى علومهم لاستحسنوها كل الاستحسان وكانوا أول قائل بها وإنما ينفرهم منها إيرادها بعبارة مستغربة لم يألفوها ولهذا قال بعضهم الحقيقة أحسن ما تعلم واقبح مايقال وأنا أورد لك مثالا تعرف صحة ذلك قال فى منازل السائرين حقيقة التوبة ثلاثة أشياء تميز الثقة من العزة ونسيان الجناية والتوبة من التوبة أبدا فاذا سمع الفقيه هذا اللفظ وهو التوبة من التوبة استغربه جدا وقال كيف يتاب من التوبة وهى عمل صالح وإنما يتاب من المعاصى وتقرير معناه أن العبد إذا كمل فى رجوعه إلى الله لم يلتفت إلى أعماله ولم يسكن إليها بقلبه توبة كانت أو غيرها فيتوب من سكونه إلى توبته ويزاد إيضاحا أن التوبة وإن كانت من كسب العبد فهى من خلق الله وتوفيقه فهو التائب عليه ولو لم يتب عليه لما تاب قال تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا فأى صنع للعبد فى التوبة أو غيرها وهو الذى وفقه الله لفعلها فرؤية العبد التوبة من نفسه ذنب يستغفر

منه بل عليه أن يشهد محض منة الله عليه بها وتوفيقه لها ويلغى نفسه أصلا عن درجة الاعتبار وهذا مقام الفنا فى التوبة وهى أول منازل السائرين ويقاس به مقام الفنا فى التوحيد فلا يشهد فى توحيده صنعا بل محض منة الله عليه به وتوفيقه وهذا المعنى إذا عرض على الفقيه بهذه العبارة المألوفة كان أول قائل به وناصر له لأن الفقيه السنى يقاتل على اثبات الأفعال لله ونفيها عن العبد مخالفة للمعتزلة والقدرية ونحوهم ممن زعم أن العبد يخلق أفعاله وأن الانتقال مخالفة

﴿فصل﴾ كان الشيخ أبو الحسن الشاذلى يقول إذا عرضت لكم إلى الله حاجة فتوسلوا إليه بالامام أبى حامد الغزالى وكان يقول كتاب الاحياء يورثك العلم وكتاب القوت يورثك النور وكان يقول عليكم بالقوت فانه قوت وكان يعظم الامام أبا عبد الله محمد بن على الترمذى ويقول إنه أحد الأوتاد الأربعة وكان لكلامه عنده الحظوة التامة ﴿فصل﴾ وسئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام عن قول العلماء فى الأحياء لما ذكر معرفة الله تعالى والعلم به قال والرتبة العليا فى ذلك للأنبياء ثم الأولياء العارفين ثم العلماء الراسخين ثم الصالحين فقدم الأولياء على العلماء وفضلهم عليهم وقال الأستاذ القشيرى فى أول رسالته أما بعد فقد جعل الله سبحانه هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة بعد رسله وأنبيائه فهذا كنحو قول أبى حامد وهل هذا المذهب صحيح أم لا فان بعض الناس قال لا يفضل الولى على العالم لأن تفضيل الشخص على الآخر إنما هو برفع درجته لكثرة ثوابه المرتب على عمله فلا فضل إلا بتفاوت الأعمال وقد ثبت أن العلم أفضل من العمل لأنه متعد والعمل قاصر والمتعدى خير من القاصر وثوابه أكثر فصاحبه أفضل قال هذا القائل وأما تخصيص الله سبحانه وتعالى من شاء بشىء من المنح والمواهب فليس ذلك برفع درجته له بمجرده ولا يفضل بذلك على غيره وإنما فضل الشىء غيره بكثرة ثوابه المرتب على أعماله الشاقة التى كلف القيام بها ولو تجردت عن التكاليف لم يفضل بذلك غيره فما

حكم هذا الكلام فأجاب الشيخ عز الدين بقوله أما تفضيل العارفين بالله على العارفين بأحكام الشرع فقول الأستاذ وأبى حامد فيه متفق ولا يشك عاقل أن العارفين بما يجب لله من أوصاف الجلال ونعوت الكمال وبما يستحيل عليه من العيب والنقصان أفضل من العارفين بالأحكام بل العارفون بالله أفضل من أهل الفروع والأصول لأن العلم يشرف بشرف المعلوم وبثمراته فالعلم بالله وصفاته أشرف من العلم بكل معلوم من جهة أن متعلقه أشرف المعلومات وأكملها ولأن ثماره أفضل الثمرات فان معرفة كل صفة من الصفات توجب حالا عليه وينشأ عن تلك الحال ملابسة أخلاق سنية ومجانبة أخلاق دنية فمن عرف سعة الرحمة أثمرت معرفته سعة الرجاء ومن عرف شدة النقمة أثمرت معرفته شدة الخوف وأثمر خوفه الكف عن الاثم والعصيان والفسوق مع البكاء والأحزان والورع وحسن الانقياد والاذعان ومن عرف أن جميع النعمة منه أحبه وأثمرت المحبة آثارها المعروفة وكذلك من عرف تفرده بالنفع والضر لم يعتمد إلا عليه ولم يفوض إلا إليه ومن عرفه بالعظمة والاجلال هابه وعامله معاملة الهائبين من الانقياد والتذليل وغيرهما فهذه بعض ثمار معرفة الصفات ولاشك أن معرفة الأحكام لا تورث شيئا من هذه الأحوال ولا من هذه الأقوال والأعمال ويدل على ذلك الوقوع فان الفسوق فاش فى كثير من علماء الأحكام بل أكثرهم مجانبون الطاعة والاستقامة بل قد اشتغل كثير منهم بأقوال الفلاسفة فى النبوات والالهيات فنهم من خرج عن الدين ومنهم من شك فتارة تترجح عنده الصحة وتارة يترجح عنده البطلان فهم فى ريبهم يترددون والفرق بين المتكلمين من الأصوليين وبين العارفين أن المتكلم نفيت عنه علومه بالذات والصفات فى أكثر الأوقات ولا تدوم له تلك الأحوال ولو دامت لكان من العارفين لأنه شاركهم فى دوام العرفان الموجب للأحوال الموجبة للاستقامة وكيف يساوى بن العارفين وبين الفقهاء والعارفون له أفضل الخلق وأتقاهم لله والله سبحانه وتعالى يقول إن أكرمكم عند

الله أتقاكم ومدحه فى كتابه المبين أكرم مدحة للعالمين وأما قوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء فانما أراد العارفين به وبصفاته وأفعاله دون العارفين بأحكامه فلا يجوز حمل ذلك على علماء الأحكام لأن الغالب عليهم عدم الخشية وخبر الله تعالى صدق فلا يحمل إلى على من عرفه وخشيه وقد روى هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو ترجمان القرآن ثم نقول إن العلماء بالأحكام أقسام أحدها من تعلم لغير الله وعلم لغير الله فعلم هذا وتعليمه وبال عليه · والثانى · من تعلم لغير الله وعلم لله فهذا ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئاً ولا أدرى هل يقوم إحسانه باساءته أم لا · الثالث من تعلم لله وعلم لغير الله فهذا كالأول أو أشد اثما منه . الرابع من تعلم لله وعلم لله وهو ضربان أحدهما أن لا يعمل بعلمه فهذا شقى لا يفضل على أحد من أولياء الله تعالى وإن عمل بعلمه فان كان عالما بالله تعالى · وبأحكامه فهذا من السعداء وإن كان من أهل الأحوال العارفين بالله فهذا من أفضل العارفين إذ حاز ما حازوه وفضل عليهم بمعرفة الأحكام وتعليم أهل الاسلام وأما قول من يقول العمل المتعدى خير من العمل القاصر فانه جاهل بأحكام الله تعالى بل للعمل القاصر أحوال إحداهن أن يكون أفضل من المتعدى كالتوحيد والاسلام والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكذلك الدعائم الخمس إلا الزكاة وكذلك التسبيح عقيب الصلاة فان النبى ﷺ قدمه على التصدق بفضول الأموال(١) وهو متعد وقال أقرب ما يكون العبد من الله إذا كان ساجداً وقال خير أعمالكم الصلاة وسئل صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل قال إيمان بالله قيل ثم ماذا قال جهاد فى سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور فهذه كلها أعمال قاصرة وردت الشريعة بتفضيلها · القسم الثانى · ما تكون متعدية كبر الوالدين إذ سئل أى الاعمال أفضل فقال بر الوالدين وليست الصلاة بأفضل من كل عمل متعد فلو رأى المصلى غريقا يقدر على إنقاذه أو مؤمنا يقتل ظلما أو امرأة يزنى بها أو صبياً يؤتى

---

(١) كما فى صحيح مسلم عن أبى ذر

منه الفاحشة وقدر على التخليص والانقاذ لزمه ذلك مع ضيق الوقت لأن رتبته عند الله أفضل من رتبة الصلاة والصلاة إن قيل ببطلانها أمكن تداركها بالقضاء فهذان القسمان مبنيان على رجحان مصالح الأعمال فان كانت مصلحة القاصر أرجح من مصلحة المتعدى فالقاصر أفضل من المتعدى وإن كانت مصلحة المتعدى أرجح قدمت على القاصر فتارة نقف على الرجحان فنقدم الراجح وتارة ينص الشرع على تفضيل أحد العملين فنقدمه وإن لم نقف على رجحانه وتارة لا نقف على الرجحان ولا نجد نصا يدل على التفضيل فليس لنا أن نجعل القاصر أفضل من المتعدى ولا أن نجعل المتعدى أفضل من القاصر لأن ذلك موقوف على الأدلة الشرعية فاذا لم يظهر شيء من الأدلة الشرعية لم يجز أن نقول على الله ما لا نعلم أو نظنه بدلالة شرعية . فائدة . إذا استوى الناس فى المعارف بحيث لا يفضل بعضهم على بعض فى ذلك فلا فضل لبعضهم على بعض إلا بتوالى العرفان واستمراره لأن توالى ذلك شرف فقد فات البعض وفاز به البعض وكذلك لا تدوم الأحوال الناشئة عن هذه المعارف إلا بدوام المعارف ولا تدوم الطاعات الناشئة عن الأحوال إلا بدوام الأحوال فاذا دام صلاح القلب بدوام المعارف والأحوال دام صلاح الجسد بحسن الأقوال واستقامة الأعمال وإذا غلبت الغفلة على القلب فسدت الأحوال الناشئة عن المعارف ففسد القلب بذلك وفسدت بفساده الأقوال والأعمال والمعارف رتب فى الفضل والشرف بترتب فضل الأحوال الناشئة عنها من على رتبها فى الفضل والكمال وكذلك ما يترتب عليها من الأقوال والأعمال والحال الناشئة عن معرفة الجلال والكمال ينشأ عنها أفضل الأعمال وهو التعظيم والاجلال وملاحظة شدة الانتقام ينشأ عنها أفضل الأعمال وهو التعظيم والخوف وملاحظة سعة الرحمة ينشأ عنها الطمع والرجاء وملاحظة التوحيد بالنفع والضر ينشا عنها التوكل على الله فى جميع الأحوال فالهائب أفضل من المحب والمحب أفضل من المتوكل والمتوكل أفضل من الخائف والخائف أفضل من الراجى

فهذه من أوصاف العارفين بالله ومما يدل على فضلهم على الفقهاء مايجريه الله تعالى عليهم من الكرامات الخارقة للعادات ولا يجرى شيء من ذلك على يد الفقهاء إلا أن يسلكوا طريق العارفين ويتصفوا بأوصافهم وما سبقكم أبو بكر بصوم ولا بصلاة ولكن بشيء وقر فى صدره (١) . ولا يصح قول من قال إن رسول الله ﷺ انما فضل بأعماله الشاقة لان رسول الله ﷺ فضل بتكليم الله تعالى إياه تارة على لسان جبريل وتارة من غير واسطة وكذلك فضل بالمعارف والاحوال ولقد قال إنى لأرجو أن أكون أعلمكم بالله وأشدكم لله خشية . وكذلك لما احتقر بعضهم قيام رسول الله ﷺ إلى قيامه وصلاته إلى صلاته أنكر ذلك صلى الله عليه وسلم فذكر أن تفضيله عليهم إنما كان بمعرفته بالله تعالى وهذا أكثر جهات تفضيل رسول الله ﷺ ولا مشقة عليه فيها وكيف لا يكون ذلك والله تعالى يقول لموسى إنى اصطفيتك على الناس برسالتى وبكلامى ومثل هذه المعاملة لا تصدر إلا من جلف جاف (٢) وكيف يفضل رسول الله ﷺ بأعماله الشاقة مع أنه لا نسبة لاعماله وصبره وتأذيه تقوم بأعمال قوم نوح وصبره وتأذيه من قومه وما أسرع الناس بأن يقولوا ماليس لهم به علم ولو أنهم سألوا إذ جهلوا لكان خيرا لهم اه)

﴿فصل﴾ قال أبو طالب المكى فى قوت القلوب :

اعلم ان العبد اذا كان يذكر الله تعالى بالمعرفة وعلم اليقين لم يسعه تقليد أحد من العلماء وكذلك كان المتقدمون اذا افتتحوا هذا المقام خالفوا من حملوا عنه العلم لمزيد اليقين والافهام وقال ابن عباس رضى الله عنهما ليس احد الا يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله ﷺ وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبى بن كعب ثم خالف زيدا فى الفقه وأبيا فى القراءة وقال بعض الفقهاء من السلف ما جاءنا عن رسول الله ﷺ قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن

---

(١) هو من قول بكر بن عبد الله المزنى ولا يثبت مرفوعا .

(٢) كذا بالأصل .

الصحابة فنأخذ به ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال قالوا ونقول ولأجل ذلك كان الفقهاء يكرهون التقليد ويقولون لا ينبغى للرجل أن يفتى حتى يعرف اختلاف العلماء أى فيختار منها الأحوط للدين والاقوى باليقين فلو كانوا يحبون أن يفتى العالم بمذهب غيره لم يحتج أن يعرف الاختلاف ولكان إذا عرف مذهب صاحبه كفاه ومن ثم قيل (١) إن العبد يسأل غدا فيقال له ماذا عملت فيما علمت ولا يقال له فيما عمل غيرك وقال تعالى والذين أوتوا العلم والايمان فقرن بينهما فدل على أنه من أوتى إيمانا ويقينا أوتى علما كما أن من أوتى علما نافعا أوتى إيمانا وهذا أحد الوجوه فى معنى قوله كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه أى قواهم بعلم الايمان فعلم الايمان هو روحه وتكون الهاء عائدة على الايمان وكذا العالم الذى هو من أهل الاستنباط والاستدلال فى الكتاب والسنة ومعرفة أداء الصنعة وآلة الصنع لأنه ذو تمييز وبصيرة ومن أهل التدبر والعبرة ثم قال وقد كان من هدى أهل العلم فى قعودهم أن يجتمع أحدهم فى قعوده وينصب ركبتيه ومنهم من كان يقعد على قدميه ويضع مرفقيه على ركبتيه كذلك كانت شمائل كل من تكلم فى هذا العلم إلى وقت أبى القاسم الجنيد ولذلك روى عن رسول الله ﷺ أنه كان يقعد القرفصاء ويحتبى بيديه (٢) وأول من قعد على كرسى يحيى بن معاذ الرازى

---

(١) ورد معناه من حديث أبى برزة الاسلمى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه رواه الترمذى وقال حسن صحيح وروى البيهقى عن معاذ مرفوعا ماتزال قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه وورد نحوه من حديث ابن مسعود رواه البيهقى والترمذى وقال غريب .

(٢) روى أبو داود والبخارى في الأدب والترمذى فى الشمائل والطبرانى

وفى زمن الجنيد أبو حمزة البغدادى فعاب الاشياخ ذلك عليه ولم يكن ذلك سيرة العارفين الذين يتكلمون فى علم المعرفة واليقين إنما كان جلوسهم الاحتباء وإنما يجلس متربعا النحاة وأهل اللغة وأبناء الدنيا من علماء المفتين وهى جلسة المتكبرين (١) ومن التواضع الاجتماع فى الجلسة ثم قال وأصول مقامات اليقين تسعة . التوبة . والصبر . والشكر . والرجاء . والخوف . والزهد . والتوكل . والرضى . والمحبة . هذا آخر ما لخصته من كتاب القوت ﴿فصل﴾ وقال صاحب التعرف فى خطبته مشيراً إلى هذه الطائفة جعل الله فيهم صفوة وأخيارا ونجباء أبرارا . سبقت لهم منه الحسنى . والزمهم كلمة التقوى . وعزف بنفوسهم عن الدنيا . صدقت مجاهداتهم فنالوا علوم الدراسة . وخلصت عليها معاملاتهم فمنحوا علوم الوراثة . وصفت أسرارهم فأكرموا بصدق الفراسة ثبتت أقدامهم وزكت أفهامهم . ونارت أعلامهم . فهموا عن الله . وساروا الى الله . وأعرضوا عما سوى الله . خرق الحجب أنوارهم . جالت حول العرش أسرارهم وجلت عند ذى العرش أخطارهم . وعميت عما دون العرش أبصارهم . أجسام روحانيون . فى الارض . سماويون مع الخلق . ربانيون .

عن قيلة بنت مخرمة أنها رأت النبي صلى الله عليه وسلم وآله سلم وهو قاعد القرفصاء قالت فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتخشع في الجلسة أرعدت من الفرق قال الحافظ ابن عبد البر حديث حسن وأخرج أبو داود والترمذى فى الشمائل باسناد ضعيف عن أبى سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا جلس احتبى بيده وفي صحيح البخارى عن ابن عمر أنه رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بفناء الكعبة محتبيا بيديه .

(١) كيف تكون جلسة المتكبرين وقد روى أبو داود باسناد صحيح عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى الفجر تربع فى مجلسه حتى تطلع الشمس حسناء .

نظار . سكوت . غيب . حضار . ملوك تحت أطمار . نزاع قبائل . وأصحاب فضائل . وأنوار دلائل . آذانهم واعية . وأسرارهم صافية . ونعوتهم خافية . صفوة صوفية . نورية . صفية . ودائع الله بين خليقته . وصفوته فى بريته ووصاياه لنبيه . وخباياه عند صفيه . هم فى حياته أهل صفته . وبعد وفاته خيار أمته . لم يزل يدعو الاول الثانى . والسابق التالى . بلسان فعله أغناه ذلك عن قوله . حتى قل الرغب . وفقد الطلب . فصار الحال أجوبة ومسائل وكتبا ورسائل . فالمعانى لاربابها قريبة . والصدور لفهمها رحيبة . إلى أن ذهب المعنى . وبقى الاسم . وغابت الحقيقة . وحصل الرسم مفرد

أما الخيام فانها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها

فصار التحقيق حلية . والتصديق زينة . وادعاه من لم يعرفه . وحلى به من لم يصفه . وأنكره بفعله من أقربه بلسانه . وكتمه بصدقه من أظهره ببيانه . وأدخل فيه ماليس منه . ونسب إليه ماليس فيه . فجعل حقه باطلا . وسمى عالمه جاهلا . وانفرد المتحقق به ضنابه وسكت الواصف له غيرة عليه . فنفرت القلوب منه . وانصرفت النفوس عنه . وذهب العلم وأهله . والبيان وفعله ﴿ فصل ﴾ وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهانى وهو من كبار حفاظ الحديث ومن أهل العلم بالفقه والتصوف كما ترجمه بذلك ابن السبكى والأسنوى فى طبقات الشافعية فى خطبة كتابه الحلية . أما بعد فقد استعنت بالله وأجبتك الى ما ابتغيت من جمع كتاب يتضمن أسماء جماعة من أعلام المتحققين من المتصوفة وأئمتهم وترتيب طبقاتهم من النساك ومحجتهم من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم ممن عرف الأدلة . والحقائق . وباشر الأحوال والطرائق وساكن الرياض والحدائق وفارق العوارض والعلائق . وتبرأ من المتنطعين والمتعمقين . وأهل الدعاوى من المتسومين . ومن الكسالى والمتثبطين المتشبهين بهم فى اللباس والمقال والمخالفين لهم فى العقيدة والفعال . وذلك لما بلغك من بسط لساننا . وألسنة أهل الفقه . والآثار

فى كل القطر والأمصار فى المنتسبين إليهم من الفسقة الفجار. والمباحية والحلولية الكفار · وليس ماحل بالكذبة من الوقيعة والانكار · بقادح فى منقبة البررة الأخيار · وواضع من درجة. الصفوة الأبرار بل فى اظهار البراءة من الكذابين والنكير على الخونة البطالين · نزاهة للصادقين. ورفعة للمتحققين. ولو لم نكشف عن مخازى المبطلين ومساويهم ديانة للزمنا إباتها وإشاعتها حمية وصيانة إذ لأسلافنا فى التصوف العلم المنشور والصيت والذكر المشهور فقد كان جدى محمد بن يوسف البنا أحد من نشر الله به ذكر بعض المنقطعين اليه وعمر به أحوال كثير من المقبلين عليه وكيف نستجيز نقيصة أولياء الله تعالى ومؤذيهم مؤذن بمحاربة (١) الله تعالى هذا آخر كلام أبى نعيم ﴿ فصل ﴾ وقال الشيخ قطب الدين محمد بن أحمد بن على القسطلانى أحد أئمة الشافعية وأحد أئمة الحديث وأحد أئمة التصوف أخذ عن السهروردى واجتمع بالشاذلى وترجمه الأسنوى فى الطبقات فقال كان ممن جمع العلم والعمل والهيبة والورع والكرم وطلب من مكة وفوضت له مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة إلى أن مات بها فى المحرم سنة ٦٨٦ ستة وثمانين وستمائة فى كتاب له فى التصوف سماه اقتداء الغافل بالعاقل ماملخصه إن الله بحكمته ونعمته أقام فى كل عصر من جعل له لسانا معبراً عن عوارف المعارف مخبراً عن لطائف العواطف يقطع به ما اتصل من الجهل ويخمد به ما ثار من السخف وينير به ما أظلم من هوس النفس ويحقق به ما اضطرب من رأى الهوى وإنا لما دفعنا فى وقتنا هذا إلى زمن طال فيه على أرباب الفضائل أرباب الرذائل وجال فيه بالمقال على الأماثل من ليس لهم بالمماثل تعين علينا أن نفصح لأهل الوسائل وتبين لدينا أن نوضح ما التبس على الافاضل ببيان الحق لمن أعرض عنه لما جهله وتقريب الطريق عمن قصد أن يصله إلى أن قال فلما أمر الله

---

(١) كما فى الحديث القدسى من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب رواه البخارى وسنتكلم على إسناده بعد.

بالاقتفاء لأهل الاصطفاء والاقتداء بذوى الاهتداء ورأيت ما ظهر فى زماننا هذا من اعتناء العوام بأهل الادعاء والاتباع للأهواء لفقد نورالعرفان المميز بين مراتب الاصفياء بذلت مافى الوسع من النصح للجاهل وأقمت مارسمت فى هذا الموضع مقام الحكم الفاصل نوضح فيه ما التبس من حال العالم بالجاهل والناقص بالفاضل والحالى بالعاطل ونفصح فيه عن بيان الفرق بين طرق الحق والباطل فى سيرة من ظهر فى زى القوم فى الخدمة والصورة وهو عن المغنى المغنى بالاعتناء به بينهم زائل وعلى المراعات لرعونات نفسه عاكف وفى فسح المحال فى ضلالها جائل وعن تأدبها بالآداب المرعية فى طرق الابواب المرضية حائل وقد دفعنا لوقت ظهر فيه اللغط وكثر فيه الغلط واشتهر فى أفعال أهله الشطط ولا سيما من أجرى عليه من الصلحاء رسم التصوف واسم الفقراء فان هذا اسم من أعز الاسماء والمتصف بصفة أهله عظيم قدره عندرب السماء لكن تلك النعوت المعهودة تبدلت بضدها والاخلاق المحمودة منهم عادت ذميمة عند عدها وجلهم بل أجلهم يدعى سلوك الطريق وما مشى على حدها فلا مصطلح القوم يعلمون ولا بما مضى من سيرتهم يعملون فانا لله وإنا إليه راجعون أشبهوهم بالظاهر فى الصورة وباينوهم فى السيرة فى المعانى المستورة فهم كما قال القائل شعر

أما الخيام فانها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها

ظنوا أن الفقروالتصوف أذكارمشهورة . ومنامات مستورة . وخيالات مذكورة . فتقيدت بهم أذهان محصورة . وأفكار مأسورة . لم تصحب فحول الرجال . ولم تشرب من ماء المعارف الزلال . زلت منها الاقدام . وتحكمت فيها الاوهام . وجعلوا التلبس بشعارالفقرمأكلة والتقدس بذكرالله بينهم مشغلة والتآنس بالمعاشرة عن المبادرة للطاعة مكسلة وتلك حالة لمن تأملها مشكلة . وفتنة لمن تعقلها مذهلة . ولكن طبع الله على قلوبهم فكانوا من الغافلين وختم على

سمعهم فلم يكونوا للنصيحة بالقائلين ولا للعدول عن الضلال للهدى بالعائدين فقد سمعت والدى أبا العباس القسطلانى يقول سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشى يقول لو لم ألق من المشايخ من لقيت لتوهمت أن الطريق ما عليه الناس اليوم وما عند النـاس من الطريق إلا الاسم إلا من سلك منهم على التحقيق فاذا قال هذا فى عصره فما ظنك بهذا العصر هذا كله كلام القطب القسطلانى (١) ثم قال إعلم أن الله أقام هـذا الدين وأيد هـذه الشريعة المطهرة بطائفتين علماء الظاهر وعلماء الباطن ولما شاهدنا فى هذه الطائفة الخلل فى عصرنا حدانا ذلك على النصح والتفقه لمن يرغب فى الاهتداء ببيان رتبة الداعين وما يقصده من يعد لجناب الله من جملة الساعين أما رتبة الداعى فانها من أعلا الرتب وهى رتبة الانبيـاء والاوليـاء والحكماء كما قال الله ادع إلى سـبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فسعت هـذه الطائفة إلى الدعاء إلى الله ورأت أن ذلك من باب تكثير الخير فى الوجود وتوقفت طائفة عن ذلك لاشتغالها فى حق نفسها بما هو الأولى من التوجه لهـا والأولى أن يقال إن كانت الهمة قد اشتغلت بالله حتى أقيمت داعية له بغير معاناة أسباب من خارج فانه يتعين الاجابة وإن كانت الهمة على الدعاء عاملة فانها محجوبة جاهلة ولحظوظهـا من طلب الظهور واصلة وقد حصل الجهل فى زماننا هذا برتبة الداعى والنظر فى ذلك من الامر المهم فى الدين لـكيلا يلتبس طريق المحقين بطريق المبطلين فاذن للتميـيز بين الدعاة فائدة عظيمـة فى هـذا الشأن فالدعاة أربعـة داع بالله إلى الله وداع بالله

(١) يرحم الله القطب القسطلانى كيف لو أدرك متصوفة وقتنا هذا الذين رخبوا الدين باسم التصوف نعم لاتزال بقية باقية من أولئك المتمسكين بالتصوف الحقيقى للحـديث المتواتر لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق فان الصحيح كما قال النووى وغيره أن الطائفة عامة فى جميع الأصناف من علماء عاملين وغزاة مجاهدين وغيرهم ولـكن ما أعز تلك البقية .

إلى سنة الله وداع بالله إلى حكمة الله وداع إلى حظوظ نفسه بطريق الله فالداعى إلى الله هو المقرب الملحوظ المفارق للحظوظ يدعو إلى الصدق فى العمل والاخلاص ويهدى من ضل إلى طريق المعرفة بالله والاختصاص والداعى إلى سنة الله وهى العلم بالاحكام من الحلال والحرام مبصر للسالكين بطريق المهتدين السابقين والداعى إلى حكمة الله هو الداعى إلى العلم بأحكام الظاهر والباطن من علم الشريعة والحقيقة ببيان علم الخواطر وعللها وصفات النفوس وآفاتها وطرق البحث عن دسائسها فالداعى إلى الله أقلهم تابعا لمشقة ما دعا اليه والداعى إلى سنة الله تابعه كثير لممازجة النفس فيما تأتى به من الافعال وطلب الاعواض على الاعمال والداعى إلى حكمة الله أقل تابعا منه لعزة الوصول إلى ما يدعو اليه من طهارة النفس وتزكيتها وأما الرابع وهو الداعى لحظوظ نفسه بطريق ربه فباطنه معلول بالآفات وسره مشحون بالجهالات إلى أن قال ثم الدعاة على وجوه أحدها داع إلى الغنى بالله من حيث اعتناؤه بالايجاد له ابتداء كما قال تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا وثانيها داع بالفقر إلى الله فان ذلك وظيفة العبودية وثالثها داع بالاخلاق الرحيمة كما قيل تخلقوا بأخلاق الله أى من الرحمة والحلم والجود والعفو ونحو ذلك وهذه هى أجل الدعوات ثم قال وإن طريق القوم لما اندرس رسمه وبقى اسمه ذهبت عصابته وصاروا آحادا فى البلاد وأفرادا فى الجد والاجتهاد فهم خاصة الله من خلقه وخلاصته المختارون فى أرضه لاقامة حقه طهر أسرارهم ونور أفكارهم فهم الداعون الى بابه المعرفون بعلى جنابه الموقفون على ما أشكل من علم الطريق على أربابه وقد حرس الله هذه الطائفة عن امتداد يد المتلاعب بما أقام لها من الرؤساء العالمين بها يذبون عنها طغى الطاغى وجهل الجاهل ويميزون بين المنقطع عن الله والواصل ويعرفون سلوك الطريق لطالبه ويوقفون على الصواب من لم يهتد الى مذاهبه لا يبالون عن اعتراض جاهل أو

عالم ولا تأخذهم فى الله لومة لائم وعلوم هذه الطائفة تشارك باقى العلوم فى العقل والنقل المفهوم وتميز عنها بالذوق والمنازلة والوجد فى المعاملة الى أن قال واعلم أن طائفة المتوجهين امتحنوا بثلاثة أصناف يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا بمنكر لطريقهم وأحوالهم وبمعترف بها عالم ذلق اللسان طلق البيان أدخل فيها ما ليس منها وأوهم أن ذلك العلم هو عين التحقيق المتعين فيها وبمعترف بها جاهل بآدابها وشروطها اتخذ أتباعا وقرر لهم أوضاعا الصنف الأول . المنكر لعلوم هذه الطائفة الواقف مع غرور نفسه فهذا عدو ظاهر واجتنابه سهل الصنف الثانى . العالم المعترف ظاهرا بالطريق المغترف بزعمه من بحر التحقيق الذى اشتغل بعلوم الأوائل وأوهم أنها داخلة فى علوم القوم راجحة فى معتقده على علوم الشريعة أعطى لسانا معبرا عن مقاصده مترجما عما فى ضميره واصطلح مع نفسه وأتباعه مصطلحا فى أوضاعه وقرر فى أذهانهم أنه المشار إليه فى عصره وأن المدار عليه فى طيه للعلوم ونشره وأن الخلائق كلهم يغترفون العلوم من بحره وهم جماعة زعموا أنهم جاسوا خلال ديار المعارف فأفسدوا بذلك عقائد من صحبهم من الطوائف واعتقدوا قدم الأرواح والأشباح وامتزاج الموجودات المتماثلة والمتضادة أزلا وأبدا وأن كل شىء مشكل فى الصورة هو عين المتشكل الآخر كالفيل المتشكل مع البقة إلى هذيان لا يقوله محصل ولا يعتمد عليه من هو للفرق بين الحق والباطل متأمل وأوهموا أن ذلك هو الوحدة وأنه عين التحقيق المشار إليه وهو علم الاحاطة الذى من لم يعتقد صحته قصر فهمه وكثر وهمه وكان محجوبا عن العلوم الالهية والمكاشفات الغيبية وهذا القول منهم دعوى لا برهان يعضدها ولا إيمان يشيدها اغتر بها من استمع ما ألقوه اليه ونبا عنها فهم من استقر الحق لديه وهؤلاء هم مباينون لعلم التحقيق محافظون على المباعدة لدقيق التوفيق تخطوا بزخرف المقال رقاب أرباب المقامات والأحوال واعتقدوا فيهم أنهم من الجهال الضلال فكانوا نقمة على

المستمعين وفتنة على المتوجهين الصنف الثالث . الجاهل بعلوم هذه العصابة الذى جعل التلبس بما هو شعارهم وسيلة الى اغراضه وبلوغ مرامه فمن لم يشتغل بعلوم النفوس وآفاتها ومصادرها ومواردها فى صفاتها ويعمل على تزكية نفسه وطهارتها فانه يعد لمعرفة علم السلوك من الجاهلين ولا يكون لهذه الطريقة من الوارثين فهؤلاء الأصناف المذكورون فتنة على العوام والخواص ومحنة يبعد منها ولا سيما فى هذا الوقت الخاص فاذا تبين وصف هؤلاء للعاقل تعين عليه أن يعلم وصف حال الرجل الكامل وهو الشخص الذى فوتح قلبه باقبال الانابة فدخل من باب التوبة الى الاجابة ثم جاهد نفسه فى خلوته وعزلته بالانفراد ثم صاحب التقوى والورع والزهد فى سيره ثم ترقى إلى المقامات والأحوال ثم الى مقام المعرفة ثم عمل على ترك مراداته واجتناب الملاحظة لحظوظه فسار عبدا حقا آثر الله على ماسواه فى سره ونجواه ولم يعتمد فى أمره شيئا من هواه وهذا الصنف هو الذى رحل فى الطريق بالادب فأمن فى الفريق من العطب ولم يتوثب إلى طلب الرتب فان هذه الطائفة لم تأخذ فى هذا المنهج عن جهالة بل عن علم ودلالة وقد تقدم لها مشايخ فحول وأئمة جمعوا بين علمى الظاهر والباطن من الفروع والاصول إلى أن قال وحاصل هذه الطريق يرجع إلى نقد ووجد وجد بالله وفقد لما سواه ثم قال والعجب ممن هو جاهل ربى نفسه وصحب من هو مثله ولم يتأدب بآداب الظاهر الذى هو الشرع ولا بآداب الباطن الذى هو مراقبة الخواطر كيف يتخيل فى ذهنه أن يكون داعيا إلى الله مؤدبا لعباد الله وقد تقدم قبانا من مشايخ الطريق الكلام على من تعاطى فى سيرة غير سيرتهم وتقاضى بأفعاله ما يعد به خارجا عن طريقتهم . وقال أبو بكر محمد بن عبد العزيز المروزى سمعت الواسطى هو أبو بكر محمد بن موسى يقول جعلوا سوء أدبهم أخلاقا وشرة نفوسهم انبساطا ودناءة الهمم جلادة فعموا عن الطريق وسلكوا فيه المضيق وقال أبو بكر الطمستانى الطريق واضح

والكتاب والسنة بين أظهرنا وفضل الصحابة معلوم بسبقهم إلى الهجرة وبصحبتهم فمن صحب منا الكتاب والسنة وتغرب عن نفسه والخلق وهاجر بقلبه إلى الله فهو الصادق المصيب . وقال . أبو العباس الدينورى نقضوا أركان التصوف وهدموا اسبلها وغيروا معانيها بأسماء أحدثوها سموا الطمع إخلاصا والخروج عن الحق شطحا والتلذذ بالمذموم صولة والبخل جلادة والسؤال عملا وبذاءة اللسان ملامة وما كان هذا طريق القوم ولو تتبعنا أقوال المشايخ فى ذلك أطلنا ثم قال وقد ألف مشايخ من هذه الطائفة كتبا ذكروا فيها الأسانيد كأبى نصر عبد الله بن على السراج فى كتاب اللمع وأبى عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى فى كتاب مقامات الأولياء وأبى القاسم القشيرى فى كتاب الرسالة وأبى بكر محمد ابن على الغازى المطوعى فى كتاب المقالات وغيرهم وإنما فعلوا ذلك إرغاما لأنف منكر تعاطى رد مقالهم ورداعلى مدعى أن هذا العلم لم يرد به الكتاب والسنة فقصدوا أنهم قد اشتغلوا بما اشتغل به أهل الظاهر من علم الاسناد وأنهم فاتوهم بما لم يصل إليه فهمهم من علم أهل القرب والوداد ثم قال واعلم أن العلم منه المحمود والمذموم فالمحمود ماأدى الى طهارة النفس وتزكيتها قال تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها والمذموم مادعاها الى الكبر والعجب وحب الشرف والرفعة والحسد وغير ذلك والعلوم المأمور بطلبها قسمان علم بالله وعلم بأحكام الله فالأول العلم بأسمائه تعالى وصفاته وأفعاله ومايجب ويجوز ويستحيل فى حقه والثانى قسمان علم بأحكام الدنيا المتعلقة بأحكام المكلفين وعلم بأحكام الآخرة فى المنعمين والمعذبين ثم أحكام المكلفين على ضربين ظاهر وباطن أما الظاهر فعلم أحكام الأمر والنهى وهو علم الفقه وأما الباطن فعلم الخواطر وتمييز الصحيح منها من الفاسد والممدوح من المذموم إلى أن قال ومدار علم الباطن على الخشية فعلى عظم الخشية فى الصدر وتمكينها من القلب تتكثر المعارف فيه وتنزل السكينة عليه قال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وعلى قدر تمكن الخشية من القلب يكون

العلم بالله سبحانه كما قال ﷺ والله إنى لأعرفكم بالله وأشدكم خوفا منه (١) ولا تكون الخشية الا للعالم بالله فالخشية باعثة على الجد فى العمل قاطعة لما اتصل من الأمل زائدة فيما تحصل فى القلب من الوجل وقال سهل الدنيا كلها جهل الا ما كان منها علما والعلم كله حجة الا ما كان منه عملا والعمل كله موقوف الا ما كان منه إخلاصا والاخلاص كله مردود إلا ما كان منه بالسنة فاذا علم شرف الباطن فانه يدور على أصلين علم بالله وتصرفاته فى مصنوعاته وأحكامه لما أتقن من مخترعاته وعلم بالنفوس ومراتبها وتمامها ونقصها ومحاسنها ومعايبها ولأجل هذا قال تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون . وأحكام . النفوس منحصرة فى وصفين الأول إزالة النقص مثل مجانبة الحسد والكبر والغضب والغل والغش والطمع والحقد والعجز والبخل والشح والرياء والخداع والحرص والمكر والقحة والخيانة والقسوة والغلظة والغفلة والعجلة والحدة والفخر والخيلاء والمباهاة والمنافسة واحتقار الخلق وسوء الأدب وسوء الخلق وحب الثناء والرغبة فى الشكر والتصنع للخلق واتباع الهوى والتجبر وطول الأمل والشر والبطر والبغى والظلم والعناد والغيبة والنميمة وطلب المغالبة بالباطل وذكر معايب الخلق وخلو القلب من الحزن والفرح بالعاجل والحزن على الغائب والاعتراض على تدبير الله وماضاهى ذلك من الخصال الذميمة والأفعال القبيحة فحق على كل مسلم أن يتفقد نفسه منها

---

(١) فى صحيح البخارى عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أمرهم أمرهم من الأعمال بما يطيقون قالوا إنا لسنا كهيئتك يارسول الله إن الله غفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ثم يقول إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا وفيه عن عائشة أيضاً قالت صنع النبى صلى الله عليه وآله وسلم شيأ فرخص فيه فتنزه عنه أقوام فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وآله وسلم فخطب فحمد الله ثم قال مابال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية .

وينزهها عنها فإنها داعية إلى الهلكات ومنها ينشأ أرد الأعمال الصالحات الثاني تحصيل الكمال كمجاهدة النفس والتقوى والورع والزهد والشكر والصبر والقناعة والرضى واليقين والتوكل والتفويض والتسليم والاحسان والصدق والاخلاص والنية ورؤية المنة لله والاحتساب فى الأعمال والسخاء والشفقة وسلامة الصدر والمبادرة للأمر والخشوع والتواضع والمراقبة والمحاسبة وحسن الظن بالله وحسن الطاعة وحسن الخلق وحسن المعاشرة للخلق وحسن المعرفة بالله وغير ذلك من صفات الكمال فاذا نفى المذموم وأثبت المحمود من هذه الصفات ترقى عنها إلى التوبة عن الزلات ثم الى المحاسبة لنفسه على الهفوات ثم إلى المراقبة الى مايصدر منه من الخطرات ثم الى الفكرة فيما يتعلق بالله من صفات الفعل وصفات الذات ثم الى التخلق بالصفات فيتخلق من الرحمة باسمه الرحيم ومن الاحسان باسمه المحسن ومن نفع العباد باسمه النافع ومن المضرة لمن يستحق الضر من الكفار بالقتل والسبي والأسر ومن المسلمين العصاة باقامة الحدود ونحوها باسمه الضار وكذلك باقى الأسماء يتخلق بكل اسم منها فيما هو به لائق فاذا حصل منها التخلق المذكور ترقى إلى الاعتبار بتأثيرها فى الموجودات ووجود سراية اسرارها فى المصنوعات ثم ترقى عن ذلك إلى الاعتبار فى نعمة الايجاد وسبق الخذلان والعنايات ثم ترقى عن ذلك الى الفناء فى شهود الذات الصادر عنها أنواع المبدعات ثم ترقى عن رؤية الارادات وفتنة المردات ثم ألقى نفسه بين يدى مدبرها كأنه بعض الجمادات فهنالك تنتهى غاية الرغبات وتتوقف الفكرة عن منازعات الطلبات وقد أوضح معنى ماذكرناه من تقدمنا من السادات قال سهل بن عبد الله أول مايؤمر به المريد التبرى من الحركات المذمومة ثم التنقل الى الحركات المحمودة ثم التفرد لأمر الله ثم التوقف ثم الرشاد ثم الفناء ثم البيان ثم الثناء ثم البيان ثم القرب ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ولا يستقر هذا بقلبه حتى يرجع الى ايمانه فيكون العلم والقدرة

زاده والرضى والتسليم مراده والتفويض والتوكل حاله ثم يمن الله بعد هذا بالمعرفة فيكون مقامه عند الله مقام المتبرئين من الحول والقوة وهذا مقام حملة العرش وليس بعده مقام . وقال يحي بن معاذ قناطر العالمين سبع أولها التوبة ثم الزهد ثم الخوف ثم الشوق ثم الرضى ثم المحبة ثم المعرفة . بالتوبة تطهروا من الذنوب وبالزهد زايلوا الدنيا وبالخوف جاوزوا قناطر النار وبالشوق دخلوا الجنة وبالرضى لبسوا قراطق(١) العبودية وبالحب وجدوا طعم النعيم وبالمعرفة وصلوا إلى ماطلبوا من الدنيا والآخرة فاذا اعتمد ماذكرناه من الحالات فقد انطوى له فى ذلك علم الأحوال والمقامات ثم التوصل إلى هذه الحالات تارة يكون عن جذب ربانى بأن يقذف الله فى قلبه ذلك بغير موقف ولا معرف وتارة عن سلوك عرفانى فيكون عن مبصر بحكم الطريق مخبر عن علم الفريق الى أن قال فمن كانت لله به عناية الهمه التفقد لخواطره فيتقى المكروه ويثبت المحمود فيكون بذلك لربه مطيعا ومن أهمل نفسه وغفل عنها واتبع هواجسها وعمل على مقاصدها هلك مع الهالكين والعجب بالآراء والعلوم والأعمال أعظم آفة ترد على ذوى المراتب قال أبو عثمان الحيرى العجب يتولد عن رؤية النفس وذكرها ورؤية الخلق وذكرهم . وقال يوسف بن الحسين يتولد الأعجاب بالعمل من نسيان رؤية المنة فيما يجرى الله لك من الطاعات ثم قال واعلموا أن الناس قبلنا صنفوا فيما يلزم من يسلك هذا الطريق من الآداب وما يتعين عليه من المراعاة لمخالفة العوائد فى الوقوف مع الحظوظ والاسباب ومايثمر له ذلك من الحسنى فى دار المآب فلو اهتدى السالكون بشىء من طرق الصواب نظروا فى كتبهم وسمعوا ماألقوه لهم من الخطاب لكنهم قالوا إن نظر الفقير فى الكتب وطلب العلم من أعظم الحجاب وماذكروه فهو كلمة حق أريد بها باطل وصفة نقص تحلى بها من هو عن الكمال عاطل وانما ذكر أهل الطريق ذلك فى قوم من صفتهم أنهم حصلوا ماتميزوا به عن أهل هذا

---

(١) جمع قرطق وهو معرب عن كرته لنوع من الأغطية

الشأن من الشريعة والحقيقة فاستغنوا عن النظر فى غير ذاتهم وفتحوا عن الغيب بما يشهد لهم بنجاتهم فهم بالله مع الله معرضون عن ملاحظة صفاتهم طهروا عن ملاحظة أنجاس الأغيار وستروا عن الشهوة لما صفا وقتهم عن الأكدار فهم كما قال بعض الألباء طنين الذباب وصرير الباب يشوش على ذوى الألباب فمن كان كذلك فانه مشغول بما هو فيه عن النظر فى الكتاب وأما من هو عرى عن علم الظاهر والباطن فحقه أن يعلم ما يحتاج اليه فى الطريق التى يسلكها فان أبى واستكبر فانه بعيد من الوصول الى منهج السعادة ثم قال . أعلم أن العلوم المطلوبة تنقسم الى علم وعمل كالفقه والنحو والطب وغير ذلك وكذلك علم هذه الطائفة ينقسم الى علم بمصطلح أهلها والى عمل بأخلاقها وقد اختلف أهل الطريق فى الفقر والتصوف والفقير والصوفى فهل هما سواء أو أحدهما أتم من الآخر فقال قوم هما سواء وقيل الفقر أعلا لأن الكتاب والسنة نطقا به واسم التصوف محدث لم يكن يعهد فى السلف الصالح إطلاقه والذى عليه أكثر أئمة هذا الشأن ورجحه شيخنا الشهاب السهروردى أن اسم التصوف والصوفى أعلا مرتبة وأولى نسبة وأخص بالمعنى المراد .

لأن الفقير يطلق عموما على من افتقر من المال وخصوصا على من افتقر بكليته إلى الله فى جميع الأحوال والتصوف إنما يطلق على الفقير الخاص بزيادة أوصاف أخر وأيضا فالفقير هو الشخص المتمسك بعروة فقره المستشرف بطلب أعواض المثوبات على صبره وشكره بملابسته له عند الله الى تعظيم قدره الواقف معه على قدم نفعه فيه وضره وأما الصوفى فهو الفقير الذى أسقط الوقوف مع الأعواض وعمل على الصد عن الموجودات المنقسمة الى الجواهر والأعراض وقطع العلائق والعوائق وواصل الفناء عن التطلع لغير الخالق وباين الأكوان والأزمان قلبا وقالبا وبقى بالله ملاحظا طالبا وترك نفسه عن التطلع لها جانبا وجعل مع الخلق جميل الخلق له صاحبا ولم يتقيد بمقام أو حال فيكون فى صفقة بيعته

خائبا فاذا علم الفرق بين الفريقين تبين الحكم على الطريقين ثم إنه قد كثر التشبه فى وقتنا بالطائفتين وغر أرباب البصائر فى التمييز بين الجهتين فقوم حكوا منهم الأفعال فى الصور وباينوهم فى المعانى والأثر فتجردوا ظاهرا ايهاما وتعلقوا باطنا أحكاما فسعوا فى تحصيل لذاتهم وشهواتهم وما تعبدوا بأحكام الطريق فى حركاتهم وسكناتهم وأفسدوا من تعاق بهم لانالتهم لطلباتهم وقوم نطقوا باللسان الخارج عن المصطلح وقرروا فى الأذهان أن ذلك أكمل المعنى المقترح وصنفوا على مقاصدهم كتبا كثيرة خارجة عن طريق القوم داخلة فريق الذم لمن تعاطاها واللوم مجانبة لعقائد الايمان الصحيحة مقررة لقواعد البهتان الصريحة محررة لقواعد البرهان المنتجة قد بنيت على قواعد تلقيت بالتقليد فوقعت فى النقص عن طلب المزيد وأوهموا أن ذلك عين المراد بين هذه الطائفة وإن لم يفهم ذلك المصطلح فان اذهانهم(١) واثقة وعكفوا على علم الفلسفة تدوينا وسموه بالحقيقة بالتحقيق والاحاطة وهما وتخمينا لا علما ويقينا وعدلوا عن التصوف وما حصل لهم شيء من التعرف الى أن قال ونهاية علم التصوف هو اطراح العادات ومخالفة الارادات مسلما مع من له الأمر وهو الفانى فى رؤية الأشياء بالمنشىء لها والفانى فى فنائه عن رؤية فنائه فيبقى بالله باقيا وهو المحبوب الملحوظ والمربوب المحفوظ كما قال ﷺ حكاية عن ربه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه الحديث (٢) الى أن قال

(١) كذا بالأصل.

(٢) تمامه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته رواه البخارى من طريق خالد بن مخلد القطوانى عن سليمان بن بلال عن شريك ابن عبد الله بن أبى نمر عن عطاء هو ابن يسار عن أبى هريرة عن النبى صلى الله

ومن طريق القوم أن لهم فى كل عمل نية لتكون قلوبهم حاضرة فيما يعانون

عليه وآله وسلم قال إن الله تعالى قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ولايزال عبدى يتقرب الخ وهذا أشرف حديث فى ذكر الأولياء والتنبيه على مالهم من علو المكانة عند ربهم حقه أن يتلقى بأكف القبول ويكتب بسواد العين على صفحات القلوب ومع هذا قال الذهبي فى الميزان وقد (أسنده من طريق خالد) هذا حديث غريب جداً ولولا هيبة الجامع الصحيح لعددته فى منكرات خالد وذلك لغرابة لفظه ولأنه مما ينفرد به شريك وليس بالحافظ ولم يرو هذا المتن إلا بهذا الاسناد ولا أخرجه من عدا البخارى ولا أظنه فى مسند أحمد اه وهو ليس في المسند يقينا كما قال الحافظ وادعاء أن المتن لم يرو إلا بهذا الاسناد مردود فان له طرقا متعددة منها عن عائشة رواه أحمد فى الزهد وابن أبى الدنيا وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد والقشيرى في الرسالة من طريق عبد الواحد بن ميمون عن عروة عنها وفيه من الزيادة وفؤاده الذى يعقل به ولسانه الذى يكلم به وعبد الواحد ضعيف لكن لم ينفرد به فقد رواه الطبرانى ثنا هرون بن كامل ثنا ابراهيم بن سويد المدنى ثنا أبو حرزة يعقوب بن مجاهد عن عروة عن عائشة به ورجال هذا الاسناد رجال الصحيحين غير شيخ الطبرانى فهو مجهول ومنها عن أبى أمامة رواه الطبرانى والبيهقى فى الزهد باسناد فيه عثمان بن أبى عاتكة وعلى بن يزيد وهما ضعيفان ومنها عن على رواه الاسماعيلى فى مسند على باسناد ضعيف وعن ابن عباس رواه الطبرانى باسنادين ضعيفين ورواه الطبرانى والقشيرى في الرسالة من طريق الحسن بن يحيى الخشنى عن صدقة ابن عبد الله الدمشقي عن هشام الكنانى عن أنس وهذا السند ضعيف ورواه البزار من طريق صدقة بن عبد الكريم الجزرى عن أنس ورواه الطبرانى من طريق الاوزاعى عن عبدة ابن أبى لبابة عن زر بن حبيش عن حذيفة مختصراً وهذا إسناد حسن كما قال الحافظان ابن رجب وابن حجر ورواه ابن ماجه وأبو نعيم عن معاذ بن جبل

من الأفعال والأقوال حتى يبقى ذلك عادة لهم فتتمرن النفس على ذلك فلا يطغى ولا يغفل ولا يسهو ثم قال واعلم أن كل طائفة انتمت للاشتغال بعلم فلا بد لها من مصطلح فى ذلك العلم حتى يتميز به ويقع به التخاطب بينهم كما وقع لأرباب الصنائع كالتجارة والحياكة وغير ذلك فافتقرت هذه الطائفة الى مصطلح يعبر به عن معلومها فى مقاصدها حتى يقع الفرق بين من انتمى اليها وتخلق بأخلاقها وتأدب بطريقها ومارس علومها وبين من كان خاليا منها معرضا عنها آخذا فى غير منهجها أو معاشر الفاقد تزيا بزيها ولم تسم همته الى طلب علمها وفهم مصطلحها فظن من رآه أنه من علمائها ومع ذلك فان العبارة والاشارة لا تفيد لما يراد للنفس الأمارة وإنما يفيدها ذلك ما تعامل به من الاهانة لها والحقارة وقال بعض المتكلمين لأبى العباس ابن عطاء ما بالكم أيها الصوفية اشتققتم ألفاظا أغربتم بها على السامعين وخرجتم عن اللسان المعتاد فقال ما قلنا ذلك إلا لغيرتنا عليه لعزته علينا حتى لا يشير به غير طائفتنا فمن ألفاظهم التى اصطلحوا عليها الوقت والمقام والحال والخاطر والوارد والشاهد والسر والنفس والغلبة والقبض والبسط والجمع والفرق والفناء والبقاء فى ألفاظ أخر مبينة فى الكتب الموضوعة فى هذا الشأن هذا آخر ما لخصته من كتاب القسطلانى

﴿فصل﴾ قال الغزالى فى الاحياء فى باب الغرور وبيان أصناف المغترين الصنف الثالث المتصوفة وما أغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بالزى والهيئة فشاركوا الصادقين من الصوفية فى زيهم وهيئتهم وفى ألفاظهم وفى آدابهم وقراءتهم واصطلاحاتهم وفى أحوالهم الظاهرة فى السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله فى الجيب كالمتفكر وفى تنفس الصعداء

مختصرا باسناد ضعيف ورواه الحاكم من طريق آخر عن معاذ وصححه وأقره الذهبي نفسه أما ما ادعاه من الغرابة في لفظ الحديث فسيأتي في الكتاب من التأويل ما يدفعه

وفى خفض الصوت فى الحديث إلى غير ذلك من الشمائل والهيئات فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط فى المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جازلهم أن يعدوا أنفسهم من الصوفية كيف ولم يحوموا حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئا منها بل تكالبوا على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون فى الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه فى شىء من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر وفرقة أخرى زادت على هؤلاء فى الغرور إذ شق عليهم الاقتداء بهم فى بذاذة الثياب والرضى بالدون وأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم يجدوا بدا من التزيى بزيهم فتركوا الحرير والأبريسم وطلبوا المرقعات النفسية والفوط الرفيعة والسجادات المصبوغة ولبسوا من الثياب ماهو أرفع قيمة من الحرير والابريسم وظن أحدهم مع ذلك أنه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسى أنهم لوثوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ وإنما لبسوا المرقعات إذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فأما تقطيع الفوط الرفيعة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن أين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء أظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الأطعمة ويطلبون رغد العيش ويأكلون أموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصى الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى الى الخلق إذ يهلك من يقتدى بهم ومن لا يقتدى بهم تفسد عقيدته فى أهل التصوف كافة إذ يظن أن جميعهم كانوا من جنس هؤلاء فيطول اللسان فى الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم وفرقة أخرى ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والأحوال والملازمة فى عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه

الأمور إلا بالأسامي والألفاظ لأنه تلقف من ألفاظهم كلمات فهو يرددها ويظن أن ذلك من أعلى علم الأولين والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى إن الفلاح يترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فهو يرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول فى العباد إنهم أجراء متعبون ويقول فى العلماء إنهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعى لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه · وفرقة منهم · وقعت فى الاباحة فطووا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عملى فلم أتعب وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا مالا يمكن وإنما يغتر به من لم يجرب وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال ولا يعلم الأحمق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من أصلهما بل إنما كلفوا قلع مادتهما بحيث ينقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الأعمال بالجوارح لا قدر لها وإنما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله واصلة إلى المعرفة وإنما نخوض فى الدنيا بأبداننا وقلوبنا عاكفة فى حضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية فان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون درجة أنفسهم عن درجة الأنبياء إذ كانوا يبكون على أدنى شيء وينوحون عليه سنين متوالية وأصناف غرور أهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على أغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل أحكام العلم ومن غير

اقتداء بشيخ متقن فى الدين والعلم صالح للاقتداء به وإحصاء أصنافهم يطول ·
وفرقة أخرى جاوزت حد هؤلاء وأحسنت الأعمال وطلبت الحلال واشتغلت
بتفقد القلب وصار أحدهم يدعى المقامات من الزهد والتوكل والرضى والحب
من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعى
الوجد والحب لله ويزعم أنه واله بالله ولعله قد تخيل فى الله خيالات هى بدعة أو
كفر فيدعى حب الله قبل معرفته ثم إنه لا يخلو عن مقارفة مايكره الله وعن إيثار
هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياء من الخلق ولو خلا ما تركه
حياء من الله. وفرقة أخرى ضيقت على نفسها فى أمر القوت حتى طلبت منه الحلال
الخالص وأهملوا تفقد القلب والجوارح فى غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم
من أهمل الحلال فى مطعمه وملبسه ومكسبه وأخذ يتعمق فى غير ذلك وليس
يدرى المسكين أن الله ليس يرضى من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى
بسائر الأعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه إلا تفقد جميع الطاعات والمعاصى
فمن ظن أن بعض هذه الأمور تكفيه وتنجيه فهو مغرور هذا كله كلام الغزالى
بلفظه · وأقول . إذا اعتبرت من يدعى التصوف من أهل العصر لم تجده يخرج
عن بعض هذه الفرق إلا أفراداً معدودة فانك ترى الواحد منهم يدعى أنه بلغ فى
التصوف الغاية فاذا جالسته وحدثته أول مايشكو لك ضيق رزقه فهذا أول
سخطه على الله وأول جهله بالله أما السخط فلأنه لو رضى بما رزقه الله وقسمه
له لم يشك إذا الراضى لا يشكو وأما الجهل فانه شكا إلى عاجز ليس بيده إزالة
الشكوى فلو عرف الله لعلم أن الأمور كلها بيده وليس بيد غيره شىء منها وربما
توسم فى الذى يشكو له أنه من جهة الملك أو بعض الأمراء فتخيل له نفسه أن
الشكوى له تفيد أنه يرفع حاله إلى ذلك الكبير ليمده بشىء وهذا أشد جهلا حيث
فاوت بين الخلق فلو عرف الله لعلم أن الخلق كلهم سواء فى عدم القدرة وإنما
الله هو المجرى للأرزاق على يد من يشاء كيف يشاء فان قال بجهله

فاين الاسباب وقد حض الشرع على الاسباب قلنا من يدعى التجريد لا يذكر الاسباب فان الله أقام الخلق قسمين قسم فى الأسباب وقسم فى التجريد فمن ادعى أنه فى رتبة التجريد ثم أخذ يذكر الأسباب فهو مدع كذاب ثم الأسباب لم تنحصر فى سؤال الملوك ولا غيرهم فهلا ذهب إن كان صادقا فى دعواه التصوف فأخذ حبلا واحتطب وحمل على رأسه وباع واقتات منه كما امر بذلك الحديث (١) مامنعه من ذلك إلا التكبر وعلو النفس ومبنى التصوف على كسرها والله المستعان . ومنهم من تراه يتتبع عيوب الخلق فيذكرها كأنه فرغ من عيوب نفسه وهذا إنما يصلح لمن أذن له فى الكلام فيذكرها على جهة الابهام من غير تعيين أحد كما يذكر الطبيب المرض وتشخيصه ثم يذكر علاجه ودواءه وإنما يحتاج إلى ذكرها فى رجل معين إذا كان على وجه النصح والتحذير من القرب منه لمحض حق الله تعالى لا لحظ نفسه . ومنهم

---

(١) يريد حديث أنس أن رجلا من الانصار أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فسأله فقال اما فى بيتك شىء قال بلى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه من الماء قال ائتنى بهما فأتاه بهما فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده وقال من يشترى منى هذين قال رجل أنا آخذهما بدرهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثا قال رجل أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه فأخذ الدرهمين فأعطاهما الانصارى وقال اشتر بأحدهما طعاما فانبذه الى أهلك واشتر بالآخر قدوما فائتنى به فأتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عودا بيده ثم قال اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما ففعل وجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه .

وهو أعجبهم عندى حالا من ظن أن التصوف قراءة الكتب المؤلفة فيه والبحث فيها وهذا غلط كبير إنما التصوف السعى فى إصلاح القلب وتطهيره من الامراض الخبيثة وتهذيب النفس وتفقد عيوبها وما رايت أحداً قط ياتى فيذكر شيئا من أمراض قلبه ويسأل عن دوائه ولا يقول أحد عندى تثاقل عن العبادة فكيف الطريق الى حصول النشاط ولا أجد عندى ميلا الا الى الدنيا فكيف العلاج فى إخراجه عن القلب ولا أجد فى نفسى الاعلوا وحسدا وحرصا أو حقدا أو رياء وعجبا أو فى لسانى بذاءة أو انطلاقا أو نحو ذلك فكيف السبيل الى إزالته أو كان لى ورد فكلت نفسى وانقطعت عنه فكيف أعود اليه أو عودنى الله بالتحفظ ثم بدت منى زلة فكيف الرجوع لا ترى أحدا يسأل عن شىء من ذلك وهذا هو مبدا التصوف وهو الذى يهتم به أولا فما ترى الواحد منهم أول ما يجالسك إلا يتكلم فى الروح وإشراق القلب وإفاضة الأنوار والمطالعة بالأسرار والخوض فيما لا يعنيه ولا طلب منه ولا كلف به ولا أهل له وهو عنه بمنقطع الثرى ولم يكن يتكلم فيه الا أولئك الكبار الذين وصلوا إلى درجة الصديقية فيتكلمون فيه مع أمثالهم بما هو عندهم معلوم واضح لا اشكال فيه فما مثل الواحد ممن ذكرت إلا مثل المملوك الجلف الذى سلمه السلطان الى المعلم ليعلمه الرمح والرمى بالنشاب فترك ما طلب منه وأخذ يسأل من المعلم عن أحوال المملكة وكيف يديرها سؤال من هو سلطان وأخذ يستشير ماذا يفعل ماذا يولى من النواب وأرباب الوظائف وليس لمثل هؤلاء جواب إلا الترك والاعراض وعدم التشاغل بجوابهم. نعم إن تلمح من أحد منهم أنه يقبل النصيحة وتنجع فيه الموعظة نهاه عن الخوض فى ذلك وبين له أن المهم والمطلوب منه خلاف ذلك قال أبو عبد الله محمد بن على الترمذى الحكيم. الناس صنفان فصنف منهم يعبدون الله على البر والتقوى فهم محتاجون إلى خير الزمان وإقباله ودولة الحق. وصنف منهم أهل اليقين يعبدون الله على

وفاء التوحيد عن كشف الغطاء وقطع الأسباب فهم غير ملتفتين إلى اقبال الزمان وادباره ولا يضرهم إدباره وهو قول النبي ﷺ إن لله عبادا يغذوهم برحمته يميتهم فى عافية تمر بهم الفتن كقطع الليل المظلم لاتضرهم (١) وقوله ﷺ يكون فى أمتى فتن لا ينجو منها إلا من أحياه الله بالعلم (٢) قال الترمذى يعنى العلم بالله فيما نرى وقال أيضا من ادعى الولاية فيقال له صف لنا منازل الأولياء فذكر مسائل معياراً على من ادعى الولاية . وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى للقطب خمسة عشر كرامة فمن ادعى هذه الرتبة فليختبر بها ثم عددها . وقال الشيخ تاج الدين فى لطائف المنن اعلم أن رفع الهمة عن الخلق شأن أهل الطريق وصفة أهل التحقيق ولقد سئل الجنيد أيزنى العارف فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا ولعمرى لو سئل أيطمع العارف فى غير الله قال لا وإنما راد الحق سبحانه أن يفرده العباد فى كل شيء حبا وثقة وتوكلا وخوفا ورجاء وذلك الذى تستحقه فرديته ورفع الهمة انما ينشأ عن صدق الثقة بالله على سبيل المعاينة فيجب لهم إيمانهم الاعتزاز بالله قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والنصر من عند الله قال الله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين والنجاة من العوارض الصادة عن الله تعالى قال تعالى كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين وشعار أهل الارادة ودثارهم الاكتفاء بالله ورفع الهمة عما سوى الله وصيانة ملابس الايمان من أن تدنس بالميل الى الى الأكوان والطمع فى غير الملك الديان والذى يوجب لك رفع الهمة عما سوى الله علمك بأنه لم يخرجك إلى مملكته إلا وقد كفاك ومنحك وأعطاك فلم يبق لك حاجة عند غيره وإذا كان قد اقتضى لهم الفهم عن الله أن يكتفوا بعلمه عن مسألته فكيف لا يوجب لهم الفهم الاكتفاء بعلمه عن سؤال خليقته ومن فاتحه الحق سبحانه بشيء مما فاتح به احباءه فقد اقتضى منه رفع همته اليه كما اقتضاه من غيره

---

(١) رواه الطبرانى وأبو يعلى وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر باسناد ضعيف .
(٢) رواه الدارمى من حديث أبى أمامة بلفظ ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا إلا من الحديث وإسناده ضعيف .

وأولى ألم تسمع قوله سبحانه ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لاتمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجا منهم وكيف لاتكون منته فيك ومواهبه وفواتح عنايته وخصائص ولايته ناهية لك عن التعلق بغيره وإن كان ذا رتبة من المخلوقين فلا يرضى منك أن تنسب رتبة المنع والعطاء والولاية والعزل منها لغيره فاحذر أن تكون من الذين قال الله فيهم وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون وقبيح أن تكون فى دار ضيافته وتوجه وجه طمعك لغيره وتطلب ممن هو بعيد عنك وتترك الطلب من مولى هو أقرب إليك من حبل الوريد ألم تسمع إلى قوله فانى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعانى وقوله واسألوا الله من فضله وقوله ادعونى أستجب لكم وقوله وإن من شىء إلا عندنا خزائنه كل ذلك لجمع هم عباده عليه وكيلا ترجع حوائجهم إلا اليه انتهى .وقال أيضا اعلم أن مبنى أمر الولى الاكتفاء بالله. والقناعة بعلمه والاغتناء بشهوده وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى أليس الله بكاف عبده وقال تعالى ألم يعلم بأن الله يرى وقال تعالى أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد فمبنى أمرهم فى بداياتهم على الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق وإخفاء الاعمال وكتم الاحوال تخفيفا لعنائهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وحبا فى إخلاص أعمالهم لسيدهم حتى إذا تمكن اليقين وأيدوا بالرسوخ والتمكين وتحققوا بحقيقة الفناء وردوا إلى وجود البقاء فهنالك ان شاء الحق أظهرهم هادين لعباده وان شاء سترهم فاقتطعهم عن كل شىء اليه وظهور الولى ليس بارادته لنفسه ولكن بارادة الله له بل مطلبه إن كان له مطلب الخفاء لا الجلاء فلما لم يكن الظهور مطلبهم وارادسبحانه اظهارهم فاظهرهم تولاهم فى ذلك بتأييده وواردات مزيده لقوله ﷺ ياعبد الرحمن بن سمرة لاتطلب الامارة فانك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها(١) ومن تحقق منهم بالعبودية لله لم يطالب ظهورا ولا خفاء بل ارادته

---

(١) رواه الشيخان .

وقف على اختيار سيده له . قال ومن أجل مواهب الله لأوليائه وجود العبارة قال وسمعت شيخنا أبا العباس يقول يكون الولى مشحونا بالعلوم والمعارف والحقائق لديه مشهودة حتى إذا أعطى العبارة كان كالاذن من الله له فى الكلام قال ومن أذن له فى التعبير تهيأت فى مسامع الخلق عبارته وجليت لديهم إشارته قال وسمعت شيخنا أباالعباس يقول كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام الذى لم يؤذن له مكسوف الأنوار حتى إن الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فيقبل من أحدهما ويرد على الآخر . قال واعلم أن من أراد الله به أن يكون داعيا إليه من أوليائه فلابد من إظهاره إلى العباد إذ لا يكون الدعاء الى الله إلا كذلك ثم لا بد أن يكسوه الحق كسوتين الجلالة والبهاء أما الجلالة فلتعظمه العباد فيقفوا على حدوده ويضع له فى قلوب العباد هيبة وينصره بها ليكون إذا أمر ونهى مسموعا أمره ونهيه وجعل هذه الهيبة فى قلوب العباد من تمكين الحق له ليعينه على القيام له بالنصرة قال تعالى الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وهى من إظهار إعزاز الحق لعباده المؤمنين قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وهذه الهيبة التى جعلها الحق فى قلوب العباد لأوليائه سرت إليهم لانبساط جاه المتبوع عليهم ألم تسمع إلى قوله ﷺ ونصرت بالرعب مسيرة شهر(١) ألبسهم الحق ملابس هيبته وأظهر عليهم إجلال عظمته كلما نزلوا إلى العبودية رفعهم إلى سماء الخصوصية فهم الملوك وإن لم تخفق عليهم البنود والاعزاء وإن لم تسر أمامهم الجنود ﴿فصل﴾ فى العقيدة التى أجمع عليها الصوفية قال صاحب التعرف أجمعت الصوفية على أن الله تعالى واحد أحد فرد صمد قديم عالم قادر حق سميع بصير باق عزيز عظيم جليل كبير جواد رءوف متكبر جبار أول إله سيد مالك رب رحمن رحيم

---

(١) رواه الشيخان من حديث جابر ومسلم من حديث أبى هريرة وأحمد من حديث ابن عباس وأبى ذر وأبى موسى بأسانيد حسان كما قال الحافظ وله طرق متعددة

مريد حكيم متكلم خالق رازق موصوف بكل ما وصف به نفسه مسمى بكل ماسمى به نفسه لم يزل قديما بأسمائه وصفاته غير مشبه بالخلق بوجه من الوجوه لاتشبه ذاته الذوات ولا صفته الصفات ولا يجرى عليه شىء من سمات المخلوقين لم يزل سابقا متقدما المحدثات موجوداً قبل كل شىء لاقديم غيره ليس بجسم ولاشبح ولا شخص ولا صورة ولا جوهر ولا عرض لا اجتماع له ولا افتراق ولا يتحرك ولا يسكن ولا يزداد ولا ينقص ليس بذى أبعاض ولا أجزاء ولا جوارح ولا أعضاء ولا بذى جهات لا تجرى عليه الآفات ولا تأخذه السنات ولا تداوله الأوقات ولا تعينه الاشارات لا يحويه مكان ولا يجرى عليه زمان لاتجوز عليه المماسة ولاالعزلة ولاالحلول لاتحيط به الأفكار ولاتحجبه الأستار ولا تدركه الأبصار لم يسبقه قبل ولم يقطعه بعد ولا يغادره من ولا يوافقه عن ولا يلاصقه إلى ولا يحله فى ولا يوافقه إذ ولا تؤامره إن ولا يظله فوق ولا يقله تحت. ولا يقابله حد ولا يزاحمه عند ولا يأخذه خلف ولا يحده أمام ولا يظهره قبل ولا يفنيه بعد ولا يجمعه كل. ولا يوجده كان. ولا يفقده ليس ولا يستره خفاء: تقدم الحدوث قدمه والقدم وجوده والغاية أزله. إن قلت متى فقد سبق الوقت كونه. وإن قلت قبل فالقبل بعده. وإن قلت هو. فالهاء والواو خلقه وإن قلت كيف. لايجتمع صفتان متضادتان لغيره امتناعا بذلك أن يشبهوه. فعله من غير مباشرة. وتفهيمه من غير ملاقاة. وهدايته من غير إيماء. لاتنازعه الهمم. ولا تخالطه الأفكار. ليس لذاته تكييف. ولا لفعله تكليف. أجمعوا على أنه لا تدركه العيون. ولا تهجم عليه الظنون. لا تتغير صفاته. ولا تتبدل أسماؤه لم يزل كذلك. ولا يزال. هو الأول والآخر. والظاهر. والباطن. وهو بكل شىء عليم. ليس كمثله شىء وهو السميع البصير (فصل)

اختلف فى صفات الأفعال فالأشعرية على أنها حادثة والحنفية على أنها قديمة وإليه ذهب كثير من الصوفية فقالوا لم يزل خالقا واحتجوا أنها لو كانت حادثة

لكان ناقصا فى الأزل ثم كمل فيما لم يزل . قال القونوى فى شرح التعرف يقال لهم يلزمكم على هذا قدم الخلق لأن قولكم لم يزل خالقا يوجب كون الخلق معه فى القدم قال وهذه شبهة الفلاسفة فى قدم العالم · وقد حكى عن بعضهم أنه صعد المنبر وقال للحاضرين ماتقولون فى رجلين اعتقاد أحدهما ان الله لم يزل مالكا للملك خالقا رازقا للرزق غنيا جواداً مفيضا للخيرات له الخلق والأمر أزلا وأبدا · والآخر يعتقد أن الله كان فى الأزل وحده لم يكن معه شىء ولا كان له خلق ولا أمر حقيقة ثم تجدد له ذلك أيهما أحق بالاتباع فبادر الناس إلى أن القائل الأول أحق بالتصديق والاتباع وهذه دسيسة فلسفية فليتنبه لها ليحترز عنها ويقال لهم لا نقص مع تحقق القدرة الكاملة أزلا وأبداً وإنما اقتضت الحكمة الالهية تأخر الخلق إلى إرادة الله تعلق القدرة الأزلية بايجاده وإذا استحال كون الحادث أزليا لم يكن عدم تعلق القدرة بايجاده أزلا لنقص فى القدرة بل لعدم قابلية المستحيل لتأثير القدرة فيه بالايجاد · قال والحاصل أن الأشاعرة قالوا الخالق حقيقة هو الذى صدر منه الخلق فلو كان قديماً لزم قدم الخلق نعم إن أريد بالخالق القادر على الخلق لم يكن فى قدمه خلاف · ﴿فصل﴾ فى التعرف وأجمعوا على أنه تعالى لا يرى فى الدنيا بالأبصار ولا بالقلوب إلا من جهة الايقان أى الايقان بوجوده تعالى لأنه غاية الكرامة وأفضل النعم ولا يجوز ذلك إلا فى أفضل مكان ولو أعطوا فى الدنيا أفضل النعم لم يكن بين الدنيا الفانية والجنة الباقية فرق ولما منع الله كليمه موسى عليه السلام ذلك فى الدنيا كان من دونه أحرى : قال ولا نعلم أحداً من مشايخ هذه الطريق ولم نر فى كتبهم ولا فى مصنفاتهم ولا فى رسائلهم ولا فى الحكايات الصحيحة عنهم ولا سمعنا ممن أدركنا منهم زعم أن الله يرى فى الدنيا أو رآه أحد من الخلق (١) إلا طائفة غلاة لم يعرفوا

---

(١) غير نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فانه رأى ربه على الصحيح وتقرير دليله يطول فلينظر في محله .

باعيانهم بل زعم بعض الناس أن قوما من الصوفية ادعوها لأنفسهم وقد أطبق المشايخ كلهم على تضليل من قال ذلك وتكذيب من ادعاه وصنفوا في ذلك كتبا منهم أبو سعيد الخراز والجنيد في تكذيب من ادعاه وتضليله وقالوا من ادعى ذلك لم يعرف الله تعالى وهذه كتبهم تشهد على ذلك زاد القونوى وقد يكون الشيطان ترآى لمن ادعى ذلك ودعاه لنفسه وربطه في الضلال ﴿فصل﴾ وقال في التعرف في نعوت الصوفية ورأوا طلب العلم أفضل الأعمال وهو علم الوقت بما يجب عليهم ظاهراً وباطنا وهم أشفق الناس على خلق الله من فصيح وأعجم وأبذل الناس لما في أيديهم وأزهدهم فيا في أيدى الناس وأشدهم إعراضا عن الدنيا وأكثرهم طلبا للسنة والآثار وأحرصهم على اتباعها . قال القونوى لأن الخير كله في اتباع الرسول ﷺ قال الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله قال بعضهم اعتبار الاتباع فى المحبة مما يبطل قول من زعم من الزنادقة أن العبد قد ينتهى إلى مقام يستغنى فيه عن الواسطة بينه وبين الله لأن أقصى مقامات العارفين المحبة وهى مشروطة بالاتباع فما ظنك بغيرها ثم قال ومن كان منهم أصفى مرادا وأعلى مرتبة وأشرف مقاما فانه أشد اجتهادا وأخلص عملا وأكثر خوفا ويأخذون لأنفسهم بالأحوط والأوثق فيما اختلفوا فيه الفقهاء وهم مع إجماع الفريقين فيما أمكن ويرون اختلاف الفقهاء صوابا ولا يعترض واحد منهم على الآخر فكل مجتهد عندهم مصيب (١) وأجمعوا على إباحة المكاسب

---

(١) وهذا رأى أبى الحسن الأشعرى وأبى بكر الباقلانى من المتكلمين وأبى يوسف ومحمد بن الحسن وابن سريج من الفقهاء وحكاه الرويانى عن الأكثرين والماوردى عن المعتزلة لكن ذلك خاص بالمسائل الفروعية التى لا قاطع فيها واستدل لهذا بقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق مع قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا حيث طيب فداء الاسرى بعد أن عاتب عليه ولو كان خطأ ما طيبه وفى المسألة كلام ليس هذا موضع بسطه .

من الحرف والتجارات والحرث وغير ذلك على تيقظ وتثبيت وتحرز من الشبهات وإنما تعمل للتعاون وحسم الأطماع ونية العود على الاغيار والعطف على الجار وعندهم واجبة لمن له عيال مباحة للمنفرد واشتغاله بوظائف الحق أولى وأحق ﴿فصل﴾ قال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله فى لطائف المنن طريقة الشيخ أبى الحسن الشاذلى تنسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش والشيخ عبد السلام ينسب إلى الشيخ عبد الرحمن المدنى ثم واحد (١) عن واحد إلى الحسن بن على بن أبى طالب وهو أول الأقطاب قال وإنما يلزم تعيين المشايخ الذين يستند إليهم طريق الانتساب من كانت طريقه بلبس الخرقة فانها رواية والرواية يتعين سندها وهذه هداية وقد يجذب الله العبد إليه فلا يجعل عليه منة لأستاذ وقد يجمع شمله برسول الله ﷺ وذكر عن الشيخ عبد الرحيم القنائى أنه كان يقول أنا لا منة لأحد على إلا لرسول الله ﷺ وإذا أراد الله أن يتفضل على عبد فيكون أخذه عنه (٢) وكفى بهذا منة ولقد قال لى الشيخ مكين الدين الأسمر أنا ما ربانى الا رسول الله ﷺ ويغنيه عن الاستاذين حتى لا يكون له فيهم سلف فعل ثم قال الشيخ تاج الدين وسمعت الشيخ أبا العباس يقول والله ما كان اثنان من أصحاب هذا العلم فى زمن واحد قط إلا واحد عن واحد إلى الحسن قال وسئل الشيخ أبو العباس عن رجل كان كبير الشهرة ولا يحضر صلاة الجمعة فتغير وقال تذكرون بين يدى الابدال والأولياء أهل البدع انتهى ﴿فصل﴾ فان قلت كيف يكون الحسن أول الاقطاب وقبله أبو بكر وعمر وعثمان وعلى قلت ظهر لى أن يقال معناه أن الحسن أول من كانت له الخلافة الباطنة منفردة عن الظاهرة فان القطب هو

---

(١) بقية السند مذكورة فى أول شرح الحكم لجدنا من قبل الأم العلامة الولى الكبير السيد أحمد بن عجيبة الحسنى فلينظرها فيه من أرادها .

(٢) أى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم بدون واسطة أو بواسطة الخضر عليه السلام

خليفة النبي ﷺ ووارث الامر من بعده وكأن الحسن رضي الله عنه لما ترك الخلافة الظاهرة ابتغاء وجه الله وحقن دماء المسلمين عوضه الله ما هو أجل منها وهو الخلافة الباطنة ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيراً منه وأما الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم فكانت لهم الخلافتان الظاهرة والباطنة معاً ولم يجتمعا لأحد بعدهم إلا أن يكون عمر بن عبد العزيز (١) ﴿فصل﴾ قال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله كان من مذهب الشيخ أبي العباس أنه لا يلزم أن يكون القطب شريفا حسنيا بل قد يكون من غير هذا القبيل ﴿فصل﴾ قال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله الوارث للرجل هو الظاهر بعلمه وحاله وهو الذي تظهر طريق المورث على يديه يفسر مجملها ويبسط مختصرها ويرفع منارها ويبث أنوارها يعرف الناس بما كان ذلك الرجل عليه من العلم بالله والمعرفة والتعوذ والاحتظاء من نوره حتى إذا فرط الناس في محبته وتعظيمه في حياته استدركوا ذلك بعد وفاته لأن كل ماهو مقدور عليه مزهود فيه وكل معجوز عنه متطلع إليه بالشغف قال الشيخ أبو العباس يكون الرجل بين أظهرهم فلا يلقون إليه بالا حتى إذا مات قالوا كان فلان وربما دخل في طريق الرجل بعد وفاته أكثر ممن دخل فيها في حياته ﴿فصل﴾ إذا عرفت ما أوردناه من كلام الأئمة المتقدم ذكرهم علمت أن التصوف في نفسه علم شريف وأن مداره على اتباع السنة وترك البدع والتبري من النفس وعوائدها وحظوظها وأغراضها ومراداتها واختياراتها والتسليم لله والرضى به وبقضائه وطلب محبته واحتقار ماسواه كما قال الغزالي: تصوف تجريد القلب لله واحتقار ماسواه وهذا هو المراد من قولهم الوصول إلى الله كما قال ابن عباد في شرح الحكم اعلم أن مادامت لك همة وإرادة فأنت بعد في الطريق لم تصل فلو قد فنيت عنها لوصلت وقال بعض المتقدمين الاتصال أن لا يشهد غير خالقه فلا يصل بسره خاطر لغير صانعه انتهى وعلمت أيضاً أنه قد كثر فيه الدخيل من قوم تشبهوا بأهله وليسوا منهم فأدخلوا فيه ماليس منه فأدى ذلك إلى إساءة الظن بالجميع فوجه

---

(١) يلزم منه أن يكون عمر أفضل من الحسن وهذا لا يعقل .

أهل العلم للتمييز بين الصنفين ليعلم أهل الحق من أهل الباطل وقد تأملت الأمور التى انكرها أئمة الشرع على الصوفية فلم أر صوفيا محققا يقول بشيء منها وإنما يقول بها أهل البدع والغلاة الذين ادعوا أنهم صوفية وليسوا بهم والراجع منها إلى اصل الدين أربعة الأول وهو شرها الحلول والاتحاد وهو كفر صريح وضلال مبين ولم يقل به أحد من المعتبرين وحاشاهم من ذلك بل مازال المعتبرون من الصوفية ينبهون على تضليل من يقول به وتكفيره ويحذرون منه منهم الغزالى فى عدة مواضع من الاحياء قال فى باب السماع الحالة الرابعة سماع من جاوز الأحوال والمقامات فعزب عن فهمه ماسوى الله حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغائص فى عين الشهود الذى يضاهى حاله حال النسوة اللاتى قطعن ايديهن فى مشاهدة جمال يوسف حتى بهتن وسقط إحساسهن وعن مثل هذه الحالة تعبر الصوفية بانه فنى عن نفسه فهو عن غيره أفنى فكأنه فنى عن كل شيء إلا عن الواحد المشهود وفنى أيضا عن الشهود فان القلب إن التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد فقد غفل عن الشهود والمستهتر بالمرئى لاالتفات له فى استغراقه إلى رؤيته وإلى عينه التى بها رؤيته ولا إلى قلبه الذى به لذته فالسكران لاخبر له من سكره والمتلذذ لاخبر له من التذاذه إنما خبره من الملتذ به فقط ومثاله العلم بالشيء فأنه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء فالعالم بالشيء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشيء كان معرضا عن الشيء ومثل هذه الحالة قد تطرأ فى حق المخلوقين وتطرأ أيضا فى حق الخالق ولكنها فى الغالب تكون كالبرق الخاطف الذى لايثبت ولا يدوم فان دام لم تطقه القوة البشرية فربما يضطرب تحت أعبائه اضطرابا تهلك فيه نفسه فهذه درجة الصديقين فى الفهم والوجد وهى أعلى الدرجات لأن السماع على الأحوال نازل عن درجات الكمال وهى ممتزجة بصفات البشرية وهو نوع قصور وإنما الكمال أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله أعني أنه ينساها فلا يبقى له التفات إليها كما لم يكن للنسوة التفات الى

اليد والسكين فيسمع لله وفى الله ومن الله وبالله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق فيه منه شيء أصلا بل خمدت بالكلية بشريته وفنى التفاته إلى صفات البشرية رأسا ولست أعنى بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ولست أعنى بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له بالقلب الظاهر نسبة خفية إلى أن قال ومن هنا نشأ خبال من ادعى الحلول والاتحاد وقال أنا الحق وحوله يدندن كلام النصارى فى دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت أو تدرعها بها أو حلولها فيها على ما اختلفت فيه عباراتهم وهو غلط محض هذا كله كلام الغزالى وقال أيضا فى باب المحبة من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه فى حال اعتدال أمره لا يرى الا الله ولا يعرف غيره ويعلم أنه ليس فى الوجود الا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهى تابعة له فلا وجود لها فى الحقيقة دونه وإنما الوجود للواحد الحق الذى بيده وجود الأفعال كلها ومن هذا حاله فلا ينظر فى شيء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث أنه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث إنه صنع فلا يكون نظره مجاوزا إلى غيره كمن نظر فى شعر انسان أو فى خطه أو فى تصنيفه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أنه أثره لا من حيث إنه عفص وحبر وزاج مرقوم على بياض فلا يكون نظره إلى غير المصنف وكذا العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر إليه أنه فعل الله وعرفه من حيث أنه فعل الله وأحبه من حيث أنه فعل الله لم يكن ناظراً إلا فى الله ولا عارفا إلا بالله ولا محبا إلا لله وكان هو الموحد الحق الذى لا يرى إلا الله بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا هو الذى يقال فيه أنه فنى فى التوحيد وأنه فنى عن نفسه وإليه الاشارة بقول من قال كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن فهذه أمور معلومة عند ذوى البصائر أشكلت لضعف الأفهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن إيضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض إلى الأفهام

أو باشتغالهم بأنفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم ثم قال وقد تحزب الناس إلى قاصرين مالوا إلى التشبيه إلى الظاهر وإلى غالين مسرفين تجاوزوا إلى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم أنا الحق وضل النصارى فى عيسى فقالوا هو الاله وقال آخرون تدرع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم وجه الصواب فهم الأقلون انتهى كلام الغزالى . فانظر وفقنى الله وإياك كيف بين أن الفناء عن ماسوى الله وشهود الحق أمر اعتبارى معنوى لا حسى وأن المراد به إسقاط الغير عن درجة الاعتبار وأنه فى حيز التلاشى والاحتقار وأن المراد برؤية الله فى كل شىء أنه يسبق إلى قلبه ذكر ربه عند رؤية كل شىء قال بعض العارفين يسبق إلى قلبه ذكر ربه وانظر كيف صرح الغزالى فى موضعين بتغليط من قال بالحلول والاتحاد وتضليله وتكفيره وإلحاقه بالنصارى والغزالى أجل من اعتمد عليه فى تحقيق هذا المقام فانه فقيه أصولى متكلم صوفى محقق . وقال القطب القسطلانى فى كتابه السابق ذكره المحبة مبتدأ دخول أودية الفنا وأعلاها محبة خاصة الخاصة وهى النظر إلى ماأهلهم له من حبه لهم وحبهم له بلا علة فتولهوا وتاهوا فى مهامه تلك الفكرة وفاضت عليها مياه الأسرار الغيبية حتى غسلت منهم دنس التعلق بالآثار الغيرية فمحت منهم بقايا التطلعات النفسية وحمت عنهم الالتفاتات إلى الجهات العلوية والسفلية وهذه محبة الصديقين . قال الجنيد المحبة إفراط الميل بلا نيل يعنى ميل القلب إلى الرب وإلى ماأمر به مما يدعوا إلى القرب بلا أمل عطاء وجزاء ذلك . وقال أبو يعقوب لا تصح المحبة إلا بالخروج عن كل الاختيار مجرداً عن النظر إلى الأغيار بعيداً عن القرب إلى الاعتراض على مجارى الأقدار مشغولا بالحق لا يسع وقته إلى شىء غيره ولا يندفع حاله إلى شىء من الفترة ثم قال الجنيد المشاهدة ثلاثة مشاهدة من الرب ومشاهدة الرب ومشاهدة للرب قال فالمشاهدة على ثلاث طبقات مشاهدة بالحق

وهي نظر الوجدان بوجوه الاستدلالات على واحدانية الذات ومشاهدة للحق وهي نظر الحق في قيام المصنوعات وتمام المبدعات وصيانتها عن الآفات ومشاهدة الحق وهي نظر الحق قبل الأشياء ورؤيته سابقا قبل الانشاء وهي رؤية خالية عارية عن الوصف عالية عن الكشف . قال سهل بن عبد الله المشاهدة إقامة الرؤية بأن العبودية مع فقدان الكل دونه ثم قال الفناء والبقاء صفتان معتورتان في نفس العبد أحدهما تخلف الأخرى وهما في لسان الاشارة فناء الوصف المذموم وبقاء الوصف المحمود فاذا تم فناؤه عن الأخلاق والأحوال والأفعال ترقى منه إلى فنائه عن نفسه وعن الخلق باستيلاء شهوده فى هذه الحالة الخلق ونفسه موجودان وإنما حصل له من الذهول ماغيبه عن الاحساس بوجودهما والفناء استغراق في شهود مانع عن ملاحظة الحظوظ المتعلقة بموجود محدود فيسقط عنه التميز بنفى الأشكال اشتغالا بما بقى به ففنى عن رؤية الاشباه والأمثال كما روى عن عامر بن عبد(١) أحد التابعين أنه قال ما أبالى امرأة زانية وحائطا والمتولى له في حركاته وسكناته الحق سبحانه فيقوم بوظائفه ويحفظه في تصرفاته ويحميه عن مخالفاته وذلك مستنبط من معنى قوله في الحديث كنت له سمعا وبصراً . وأما البقاء الذى يخلفه فهو الاقامة على مالله عليه بعد الفناء عماله من الحظوظ فتبقى الأشياء كلها عنده كشيء واحد فهو أبدا دائب في الموافقات دون المخالفات فالباقى بالحق عبارة عن عبد فنى عن نفسه فهو يعقل الأشياء لا لحظ يجلب منفعة أو يدفع مضرة بمعنى أنه لا يقصد ذلك بمعنى أنه لا يجد حظا بل إذا عمل قربة يقصد بعملها موافقة الامر لا لذة نفسه في ذلك العمل ولا يطلب ثوابا عليه ثم قال ولا يظن جاهل بعلوم هذه الطائفة أن معنى الفناء هو ترك التميز بين حقائق الأشياء وأحكامها فتصير الموجودات كلها شيئا واحدا وتبقى المخلوقات له موافقات فيبقى النهى عنده كالامر لفنائه عن التميز في الاحكام فان هذا مذهب

---

(١) في الاصل عبد بدون اضافة وفي ترجمته من الحلية والاصابة عبد قيس بالاضافة .

معلول مدخول ذهب إليه من قصد تعطيل الشرائع وابطال التكاليف وهو مذهب الاباحية وانما المعنى فيه ماقدمناه من أنه فنى عن اوصافه وملاحظات أغراضه وبقى بأوصاف الحق فانه انما يفعل الأشياء لغيره لاله لوجود استغنائه عن المنافع والمضار وقال ابراهيم بن شيبان الفناء والبقاء يدور على خلاص الوحدانية وصحة العبودية وما كان غير هذا فهو المغاليط والزندقة ونقل معناه عن أبى يعقوب النهرجورى (١) وقال أبو سعيد الخراز علامته ذهاب حظه من الدنيا والآخرة إلا من الله ثم يبدو له باد من حق الله فيريه ذهاب حظه من رؤية حظه أن يتلاشى عن نفسه وتبقى رؤية ما كان من الله لله فذهاب الحظ من الدنيا ترك الأغراض ومن الآخرة ترك طلب الأعواض وذهاب حظه من رؤية حظه أن يتلاشى عن نفسه فلا يرى لها فى جانب عظمة الله قدرا لحقارتها فيشتغل بالله عن رؤية ذلك فيبقى ما كان لله بالله ويفنى عما سوى الله فيكون ما كان فى علم الله قبل إيجاده ثم قال التوحيد يقع فى الذات والصفات والأفعال ففى الذات نفى الصفات بالاجزاء وفى الصفات نفى التشبيه بالأسماء وفى الأفعال نفى الشريك فى شىء من الأشياء قال الجنيد أشرف كلمة فى التوحيد ماقاله أبو بكر الصديق رضى الله عنه سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته ثم قال الجمع أن لا تشهد إلا الحق وتفنى عما سواه فتسلب الارادات وتطرح كلفة التطلع إلى العادات انتهى مالخصناه من كلام القسطلانى . فانظر كيف شرح هذه الألفاظ التى هى مظنة زلل الفهم شرحاً بيناً واضحاً جاريا على قوانين الشريعة مداره على إفراد الأمر لله وحده واسقاط ماسواه عن درجة الاعتبار ألا له الخلق والأمر وعلى ترك الارادات والاختيارات وترك منازعة القدرة وترك حظوظ النفس والقيام بالأوامر والنواهى لله وحده لا لجلب ثواب ولا لدفع عقاب

---

(١) له ترجمة فى الرسالة القشيرية .

وهذا حال من عبد الله لله خلاف من عبد الله للثواب وخوف العقاب فانما عبد لحظ نفسه وإن كان هو محبة أيضا لكنه فى درجة الأبرار وذاك درجة المقربين. أخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عن موسى بن الصباح. قال اذا كان يوم القيامة يؤتى بأهل ولاية الله فيقومون بين يديه ثلاثة أصناف فيؤتى برجل من الصنف الاول فيقول عبدى لماذا عملت فيقول يارب خلقت الجنة وأشجارها وثمارها وأنهارها وحورها ونعيمها وما أعددت لأهل طاعتك فيها فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى شوقا اليها فيقول إنما عملت للجنة فادخلها ومن فضلى عليك أن اعتقتك من النار فيدخلها هو ومن معه ثم يؤتى برجل من الصنف الثانى فيقول عبدى لماذا عملت فيقول يارب خلقت نارا وخلقت أغلالها وسعيرها وسمومها ويحمومها وما اعتددت لاعدائك ولاهل معصيتك فيها فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى خوفا منها فيقول عبدى إنما عملت خوفا من النار فانى قد اعتقتك من النار ومن فضلى عليك أدخلك جنتى فيدخل هو ومن معه الجنة ثم يؤتى برجل من الصنف الثالث فيقول عبدى لماذا عملت فيقول ربى حبالك وشوقا إليك وعزتك لقد أسهرت ليلى واظمأت نهارى شوقا إليك وحبالك فيقول الله عبدى إنما عملت حبالى وشوقا إلى فيتجلى له الرب فيقول هاأنا انظر إلى ثم يقول من فضلى عليك أن أعتقتك من النار وأبحتك جنتى وأزيرك ملائكتى وأسلم عليك بنفسى فيدخل هو ومن معه الجنة . وقال شارح منازل السائرين فى بيان عجز العقول عن إدراك الذات المقدسة وترك الفكرة فى ذلك يعرف العبد أن عقله عاجز عن إدراك كل الموجودات من المخلوقات فضلا عن خالقها وقد عجزت العقول عن إدراك الخاصية التى يجذب بها المغناطيس الحديد والسقمونيا الأخلاط الصفراوية إلى غير ذلك مع القطع بوجودها فاذا عرف العبد عجزه وآيس من الوقوف على غاية مطلبه حمله ذلك على التمسك بحبل التعظيم والاجلال وسلم بذلك من الوقوع فى مسيء الاختلال . وقال شارح

منازل السائرين فى شرح معرفة الخاصة وانما ترجحت هذه الدرجة من حيث ارتفاع هذه المصوفة لا بمعرفة الصفة قوله وهى تثبت بعلم الجمع يريد المعارف وتعقلها بنفس الذات بذلك أن من تحقق عنده العلم بانفراد الحق سبحانه بالفعل والصفة والذات وقيام سائر الموجودات بما يخلقه لهم وفيهم من الصفات والحياة قاده ذلك إلى جمع الهمة عليه وعكوفها لديه وتصفو هذه المعرفة فى ميدان الفناء عن ذكر غيره ورؤيته سواه واذا فنى العبد عن غيره كملت معرفته ببقائه مع الحق وقلة غفلاته عنه بل عدمها وهو علم البقاء واذا وصل من المعرفة الى هذا الحد فى التمكن شارف عين الجمع أى حقيقته وصار الجمع له حالا فعين الجمع بخلاف علم الجمع . وقال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله فى الحكم كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا منعك أن تدعى ماليس لك من المخلوقين أفيبيح لك أن تدعى وصفه وهو رب العالمين . وقال شارحه ابن عباد التعلق بأوصاف الربوبية أن تشهد وجودك ولوازم وجودك لاشىء من جميع ذلك لك ولا منك وانما هى عوار عندك فلا ترى وجودك الا ببقائه ولا عزتك الا بعزته ولا قدرتك إلا بقدرته ولا غناك الا بغناه الى غير ذلك من الاوصاف ولا يتم لك ذلك الى أن تتحقق بأوصاف عبوديتك من عدمك وفقرك وذلك وعجزك ثم أورد بعده كالدليل على ماذكره من أنه لاحظ للعبد من صفات مولاه إلا التعلق بها فقط وان ادعاءه شيئا منها من كبائر معاصى القلب ومن مشاركة المربوب للرب ومن مقتضى الغيرة التى اتصف بها ومن أفحش الفواحش عند العارفين وجود شىء من الشركة فى قلب العبد بادعاء شىء من أوصاف الربوبية لنفسه عقدا أو قولا لأن ذلك منازعة له كما ورد الكبرياء إزارى والعظمة ردائى فمن نازعنى واحدا منهما قصمته.(١) ومعنى المنازعة الدعوى قولا وعبارة والاضمار

---

(١) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث أبى

قصدا أو إشارة ومعنى الغيرة فى حقه تعالى أنه لا يرضى بمشاركة غيره فيما اختص به من صفات الربوبية وفيما هو حق له من الأعمال الدينية وإذا كان الحق تعالى منعك وحرم عليك أن تدعى ماليس لك مما أعطى المخلوقين من الأموال وسمى ذلك ظلما وعدوانا فكيف يبيح لك أن تدعى وصفه وهو رب العالمين لا شريك له فى ذلك لا أنت ولا غيرك فهو إذا أعظم الظلم وأشد العدوان . قال وهذا المعنى الذى ضمنه المصنف هذه المسألة هو مرمى نظر الصوفية وكل ماصنفوه أودونوه وأمروا به ونهوا عنه من أقوال وأفعال وأحوال إنما هى وسائل إلى هذا المقصد الشريف والمقام المنيف فشأنهم إنما هو العمل على موت نفوسهم وإسقاط حظوظها بالكلية وليس ذلك هو المقصود لهم بالذات وإنما غرضهم من ذلك مايلزم عنه من انفراد الله تعالى بالوجود ولوازم الوجود انفرادا لا يشاركونه فى شىء منه البتة وهذا كيمياء السعادة الذى أعوز أكثر الناس ولم يحظوا منه إلا بالافلاس إذ بذلك يستحق المرء عبودية الله الذى لامقام للعبد أشرف منه ولهذا المعنى كانت عندهم حقائق خطرات الحظوظ وخفيات هواجس الهوى وكل مايقتضى بقاء النفس وثبوتها من محبة المقامات وإيثار الألطاف والكرامات ذنوبا عظيمة وأخلاقا لئيمة قادحة فى صدق العبودية والاخلاص للربوبية يتوبون من جميع ذلك إلى ربهم ويتعوذون به من شره . وقال ابن عباد أيضا فى شرح قول الحكم الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أومعه أوقبله أوبعده فقد أعوزه وجود الأنوار وهذه الظروف المذكورة ليست بزمانية ولا مكانية لأن الزمان والمكان من جملة الأكوان قال ومعرفة تفصيل هذا الظهور هو والتفرقة بين هذه الحقائق على ماهى عليه تعسر العبارة عنه وقد زلت فيه أقدام كثير من الناس وممن نصر على اكفار القائلين بالحلول والاتحاد من

هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يرويه عن الله تبارك وتعالى .

أهل التصوف الحافظ أبو نعيم الأصبهانى فى أول الحلية كما تقدم وكذلك القاضى ناصر الدين البيضاوى الامام فى التفسير والفقه والكلام والأصول والتصوف وانظر تفسيره المشهور تجده مشحونا بالتصوف وقد نص فى سورة المائدة على كفر من قال بالحلول والاتحاد وقال القاضى عياض فى الشفاء مامعناه أجمع المسلمون على كفر أصحاب الحلول ومن ادعى حلول البارى سبحانه فى واحد من الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وانظر كيف نقل ذلك عن بعض الصوفية وهم الغلاة منهم لا كلهم حاشاهم من ذلك وكذلك لم ينقل أصحاب الكتب الكلامية ذلك إلا عن بعضهم . قال الشيخ عز الدين ابن جماعة فى شرح الكوكب الوقاد يجب أن ينزه الله تعالى عن الحلول خلافا للنصارى وبعض الصوفية جل الله وتعالى عن قولهم علواً كبيراً . وقال القونوى فى شرح التعرف فى حديث كنت سمعه تأويل الحديث أن الله تعالى يتولى من أحبه فى جميع أحواله كما يتولى الوالد والوالدة جميع أحوال الطفل بحيث أنه لا يمشى إلا برجل أحدهما ولا يأكل إلا بيده فكأنه فنيت صفاته وقامت صفات الوالدين مقامها لشدة اعتنائهما بحفظه وتسخير الله إياهما له وكذلك ورد فى الحديث اللهم كلاءة ككلاءة الوليد (١) . فمعنى كنت

---

(١) وقع هذا الحديث فى الباب السابع عشر من الشهاب بلفظ اللهم واقية كواقية الوليد قال أخونا العلامة المحدث السيد أحمد فى تخريجه المسمى فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب فى الكلام على هذا الحديث رواه القضاعى في مسند الشهاب وابن شاهين من طريق عبد الوهاب بن الضحاك ثنا ابن عياش عن يحيى ابن سعيد عن سالم عن ابن عمر قال كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول فذكره وعبد الوهاب كذبه أبو حاتم وقال النسائى متروك وقال الدارقطنى منكر الحديث وقال البخارى عنده عجائب لكن أورده الحافظ نور الدين الهيثمى فى مجمع الزوائد من حديث ابن عمر أيضاً بلفظ كان يقول فى دعائه واقية كواقية الوليد

سمعه إلى آخره أحاطت عنايتى ولطفى به بحيث يصير فعله وإدراكه كأنه فعلى وإدراكى . قال وأما ما يشير اليه أصحاب القول بالاتحاد من ادعائهم كون الحديث على ظاهره وأن الحق سبحانه وتعالى مازال سمعاً وبصراً ويدا للعبد حقيقة بدليل قوله كنت وإنما ظهرت له حقيقة الحال حينئذ فلا يخفى فساده لاستحالة كون القديم صفة للحادث انتهى . وقال الفاكهى وهو أحد أئمة المالكية وأحد المتصوفة وأحد أصحاب الشيخ أبى العباس المرسى فى حديث كنت سمعه فهو فيما يظهر لى على حذف مضاف والتقدير كنت حافظ سمعه الذى يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك الى آخره قال ويحتمل معنى آخر أدق من الذى قبله وهو أن يكون معنى سمعه مسموعه لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان أملى بمعنى مأمولى والمعنى أنه لا يسمع إلا ذكرى ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابى ولا يأنس إلا بمناجاتى . ولا ينظر إلا فى عجائب ملكوتى فلا يمد يده إلا إلى مافيه رضاى ورجله كذلك نقل هذين التأويلين عنه الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى ثم قال وأسند البيهقى فى الزهد عن أبى عثمان الجيزى أحد أئمة الطريق قال ما معناه أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه فى الاسماع وعينه فى النظر ويده فى اللمس ورجله فى المشى وهذا تأويل حسن سائغ وهو لامام صوفى ثم قال الحافظ ابن حجر وحمله بعض المتأخرين الصوفية على مايذكرونه من مقام الفناء والمحو وأنه الغاية التى لا شىء وراءها وهو أن يكون قائما باقامة الله له محبا بمحبته له ناظراً بنظره له من غير أن يبقى معه بقية تناط باسم أو تقف على رسم أو تتعلق بأمر أو توصف بوصف قال ومعنى هذا الكلام أنه يشهد إقامة الحق له حتى قام ومحبته له حتى أحبه ونظره إلى عبده حتى أقبل ناظراً اليه

وقال أبو يعلى يعنى المولود كذا فسر لنا ثم قال الحافظ نور الدين رواه أبو يعلى وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات اه فاذا لم يكن المبهم هو عبد الوهاب المذكور فهو شاهد له اه .

بقلبه انتهى ولا إشكال فى هذا المعنى أيضاً ثم قال الحافظ ابن حجر وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات أنه يصير فى معنى الحق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه وأن هذه الأسباب تصير عدما صرفا فى شهوده وإن لم تعدم فى الخارج ثم قال ويرد على الاتحادية والقائلين بالوحدة المطلقة قوله فى بقية الحديث ولئن سألنى ولئن استعاذنى فانه كالصريح فى الرد عليهم يعنى حيث أثبت سائلا ومسئولا ومستعيذا ومستعاذا به وإلى هنا انتهى بنا القول فى إبطال القول بالحلول والاتحاد وتنزيه الصديقين عن القول به وبراءتهم ومما يستدل به على براءتهم منه من حيث الجملة أن الأئمة أهل الفقه والكلام وأكابر أعلام الاسلام مازالوا يصحبون أهل الطريق ويحضرون مجالس وعظهم ويبالغون فى الثناء عليهم وينقلون عباراتهم وإشاراتهم فى دروسهم وتصانيفهم فلو رأوا منهم مايشعر بشىء من ذلك لكانوا أول النافرين وإلى الانكار مبادرين . كان إمام الشافعية أبوالعباس ابن سريج أحد كبار أصحاب الوجوه والفضل على جميع الأصحاب حتى قيل إنه أفضل من المزنى كذا ذكره الشيخ أبو اسحق الشيرازى فى ترجمته يحضر مجلس الجنيد ويسمع كلامه فيقول أشهد أن لهذا الكلام صولة ليست بصولة مبطل قال ابن السبكى فى الطبقات وعن ابن سريج أنه تكلم يوما فأعجب به بعض الحاضرين فقال ابن سريج هذا ببركة مجالستى لأبى القاسم القشيرى صاحب الرسالة (١) وحكى ابن السبكى فى طبقاته عن ابن السمعانى أنه

---

(١) كذا بالأصل والصواب لابى القاسم الجنيد كما هو فى طبقات ابن السبكى وهذه الحكاية أسندها القشيرى فى الرسالة والخطيب فى التاريخ من طريق أبى الحسين على بن ابراهيم الحداد قال حضرت مجلس أبى العباس ابن سريج فتكلم فى الفروع والأصول بكلام حسن أعجبت به فلما رأى أعجابى قال إلى آخره .

روى بسنده أن أبا القاسم القشيرى حج سنة من السنين وقد حج فى تلك السنة أربعمائة نفس من قضاة المسلمين وأئمتهم من أقطار البلاد وأقاصى الأرض فأرادوا أن يتكلم واحد منهم فى حرم الله فاتفق الكل على الأستاذ أبى القاسم فتكلم هو باتفاق منهم وكان ولده أبو النصر عبد الرحيم أيضا يحضر عنده الأئمة . قال ابن السبكى لزم الأئمة مثل الامام أبى اسحق الشيرازى الذى هو فقيه العراق فى وقته وعتبة منبره وأطبقوا على أنه لم ير مثله فى تبحره ثم قال ابن السبكى وأعظم ما عظم به أبو نصر أن إمام الحرمين وهو عصريه نقل عنه فى كتاب الوصية من النهاية وهذا فخار لا يعد له شىء . قلت ونقل عنه الرافعى والنووى فى الروضة وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى يحضر عنده الأئمة مثل سلطان العلماء الشيخ عزالدين ابن عبد السلام والشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد هذا مع ما صح عن ابن دقيق العيد من تشديد النكير على الاتحادية وتضليل عقولهم فلو رأى فى كلام الشاذلى ذرة من ذلك لكان أول مبادر الى انكارها . قال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله فى لطائف المنن سمعت الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد يقول ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبى الحسن الشاذلى قال وأخبرنى مكين الدين الأسمر قال حضرت بالمنصورة فى خيمة فيها الشيخ عز الدين ابن عبدالسلام والشيخ مجد الدين على بن وهب القشيرى والشيخ محيى الدين الاخميمى والشيخ أبو الحسن الشاذلى ورسالة القشيرى تقرأ عليهم وهم يتكلمون والشيخ أبو الحسن صامت إلى أن فرغ كلامهم فقالوا ياسيدى نريد أن نسمع كلامك فقال أنتم سادات الوقت وكبراؤه وقد تكلمتم فقالوا لا بد أن نسمع منك فسكت الشيخ ساعة ثم تكلم بالأسرار العجيبة والعلوم الجليلة فقال الشيخ عز الدين وقد خرج من صدر الخيمة وفارق موضعه اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله . وكان الشيخ أبو العباس المرسى تلميذ الشيخ أبى الحسن الشاذلى يحضر مجلسه الأئمة . قال تلميذه الشيخ تاج الدين فى لطائف المنن كان علماء

الزمن يسلمون له هذا الشأن حتى كان شيخنا العلامة شمس الدين الأيكى والأصفهانى يجلسان بين يديه جلوس المستفيد آخذين عنه ومتلقين مايبديه حتى سأله أحدهما عن بعض المشايخ الظاهرين فى الوقت ياسيدى أتعرفه فقال. أعرفه هاهنا وأشار إلى الأرض ولا أعرفه هناك وأشار إلى السماء . قلت فلو كان فى طريقة المرسى وكلامه شيء من الاتحاد لم يقربه الأصفهانى الذى محله من علم الكلام والأصول بالمحل المعروف . وكان الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله يحضر مجلس وعظه الأئمة مثل الشيخ تقى الدين السبكى إمام وقته تفسيرا وحديثا وفقها وكلاما وأصولا ومنقولا ومعقولا بل المجتهد الذى لم يأت بعده مثله ولا قبله من دهر طويل وقد ذكر السبكى فى بعض كتبه أخذه عن الشيخ تاج الدين وحضوره مجلسه ونقل عنه بعض كلامه وقال إنه متكلم الصوفية على طريق الشاذلية . وفى المعجم المخرج للسبكى أنه قرأ عليه كتابه الحكم وذكر فيه قطعة منه قرئت عنه واتصلت لنا بالسند إليه ولو كان فى طريق الشاذلية أدنى عوج لم يثن عليها السبكى ولا ولده ولا أئمة عصره ومن قاربهم ولما كانت طرق التصوف دخل فيها الدخيل وكانت الطريقة القوية الخالية من البدع الجارية على قوانين الشريعة طريقة الجنيد وأتباعه . قال ابن السبكى فى جمع الجوامع وأن (١) طريق الشيخ الجنيد وصحبه طريق مقوم وطريق الشاذلية فى المتأخرين هى طريق الجنيد فانها كما يعرف من تأمل كلام الشاذلى فى التعاليق التى رويت عنه وكلام الشيخ تاج الدين فى كتبه دائرة مع الكتاب والسنة واقفة مع الشرع زاجرة عن الخواطر التى لم توزن بميزان الشريعة كما سيأتى نقل شيء من ذلك فى الأمر الرابع قال سيدى على بن وفا رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته والمسلمين.

تمسك بحب الشاذلية تلق ما ... تروم وحقق ذا الرجاء وحصل

---

(١) هذا معطوف على كلام تقدمه فى المتن المنقول عنه والمعنى ونرى أن طريق الخ

ولا تعدون عيناك عنهم فانهم شموس هدى فى أعين المتأمل(١)

فان قلت فى كلام كثير ممن نسب إلى السداد والاستقامة مايشعر بذلك كابن الفارض وابن العربى وسيدى محمد وفا وولده سيدى على . قلت الجواب عن ذلك الاعتذار والتأويل فان حسن الظن بآحاد المسلمين واجب فضلا عمن تواردت الألسنة بالشهادة له بالولاية فان ثناء الناس بذلك شاهد صدق كما نص عليه رسول الله ﷺ (٢) وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها فى الخير محملا (٣) . وقد كان ابن الفارض

---

(١) ذكر صاحب القاموس فيه هذين البيتين وعزاهما لابن عطاء الله .

(٢) يعنى فى مطلق الثناء لا بخصوص الولاية وذلك فى حديث أنس مرفوعا من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار أنتم شهداء الله فى الأرض رواه الشيخان ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث أبى هريرة وفى صحيح البخارى عن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيما مسلم شهد له أربعة نفر بخير أدخله الله الجنة الحديث وفى المعنى أحاديث كثيرة .

(٣) رواه المحاملى قال ثنا زياد بن أيوب ثنا محمد بن يزيد عن نافع بن عمر الجمحى عن سليمان بن عبدة قال قال عمر رضى الله عنه فذكره وهو منقطع ووصله الحافظ أبو القاسم الاصبهانى فى الترغيب والترهيب والخطيب فى المتفق والمفترق باسناد ضعيف من طريق يحيى بن سعيد بن المسيب عن أبيه قال وضع عمر ثمانى عشرة كلمة حكم كلها قال ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه مايغلبك ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المسلم سوءا أوقال شراً وأنت تجدلها فى الخير محملا ومن تعرض للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن ومن كتم سره كانت الخيرة بيده وعليك باخوان الصدق تعش فى أكنافهم فانهم زينة فى الرخاء عدة فى البلاء وعليك بالصدق وان قتلك ولا تعرض فيما لا يعني ولا تسأل عما لم يكن فان فيما كان شغلا عما لم يكن ولا تطلبن حاجة الا

فى زمن الشيخ زكى الدين عبد العظيم المنذرى واجتمع به وسمع من شعره وذكره فى معجمه ولم يصفه بسوء عقيدة وقد أثنى عليه الشيخ عفيف الدين اليافعى أحد أئمة الشافعية وأحد الأولياء الكبار فى كتابه كفاية المعتقد ونكاية المنتقد وابن العربى أثنى عليه اليافعى فى كتابه المذكور والشيخ تاج الدين ابن عطاء الله فى كتابه لطائف المنن وهما شاهدا عدل مقبولان فى تزكية مثل هذا فهما فقيهان صوفيان . قلت ذلك صوناً عن الوقيعة فى أحد وحفظاً للسان لا ارضى بالنظر فى الكتب المنسوبة إليه ولا إذنا فى قراءتها لكل أحد ومعاذ الله أن أذن لاحد فى ذلك ثم لا آذن وممن نقل كلام ابن العربى وابن الفارض فى تأليفه الشيخ علاء الدين القونوى أحد أئمة الشافعية وهو شارح الحاوى فقيه أصولى صوفى متكلم علامة محقق فهذا جواب إجمالى وتفصيله بأمور . فأما الاعتذار فبأمرين أحدهما جواز أن يكون ذلك صدر حال سكر وغيبة وقد تقدم فى كلام ابن السبكى الاعتذار بذلك وأن الله رفع التكليف عمن غاب عقله فلا يؤاخذ بذلك ولا تحل الوقيعة فيه بسبب ذلك وإنما الانكار على من يتلقى ذلك الكلام على ظاهره ويعتقده ويعتمده فهذا ينكر عليه أشد النكير ولهذا قال ابن سريج لما استفتى عن الحلاج هذا رجل خفى عنى حاله فلا أقول فيه شيئاً كأنه لم يثبت عنده أنه قال تلك الكلمة فى حال صحو الثانى جواز أن يكون ذلك الكلام مفترى

ممن يحب نجاحها ولا تهاون بالحلف الكاذب فيهلكك الله ولا تصحب الفجار فتتعلم من فجورهم واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين ولا أمين الا من خشى الله وتخشع عند القبور وذل عند الطاعة واستعصم عند المعصية واستشر فى أمرك الذين يخشون الله وهم العلماء فان الله تعالى يقول (إنما يخشى الله من عباده العلماء وروى البيهقى في الشعب من طريق ابراهيم بن أبى طيبة عن يحيى بن سعيد عن أبيه قال كتب الى بعض اخواني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ضع أمر أخيك على أحسنه وذكر ماتقدم غير أنه خالفه فى كلمات .

عليه ودس فى كتابه أو ديوانه إما من عدو حاسد يريد شينه بذلك وتنقيصه كما وقع كثيرا للعلماء وذكروا عن شرح التنبيه للجيلى أنه مشحون بغرائب لاتعرف فى المذهب وأنها ليست منه بل أدخلها فيه بعض الحسدة فأفسد بها الكتاب . واما من زائغ ملحد أراد ترويج أمره ونصرة معتقده فدس هذا الكلام ليأخذه الناس بالقبول لاحسانهم الظن بهؤلاء الأخيار . وقد أخبرنى بعض القضاة ممن أثق به أن الشيخ عبد الكريم الحضرمى أحد الأئمة السادة الكبار وقد اجتمعت أنا به بمكة الشريفة فى مرض موته سئل عن بيت من كلام ابن الفارض وهو قوله :

وإذا سألتك أن أراك حقيقة ... فاسمح ولا تجعل جوابى لن ترى

فقال هذا ليس من كلامه فان ابن الفارض عارف والعارف لا يقول مثل هذا وأما التأويل فبأمور أحدها أن العبارة عن المعانى المدركة بالوجدان على ماهى عليه تعسر جدا ألا ترى أن الشخص لو أراد أن يصف لذة الجماع لمن لم يباشره بعبارة توصل ذلك إلى فهمه على حقيقته لم يستطع ذلك أبدا ومن الأمور المقررة فى العقول أن البديهيات والضروريات لا يمكن حدها وقد قال الامام فخر الدين إن العلم لا يحد لأنه ضرورى . وقال إمام الحرمين إنه نظرى عسر الحد فيدر(١) للعارف منهم معنى قائما بقلبه فيريد التعبير عنه فلا يمكنه عبارة تعطيه فيأتى بعبارة موهمة كما قال الغزالى فى الفنا ان العلماء به قصرت عبارتهم عن إيضاحه وبيانه بعبارة مفهمة موصلة للغرض إلى الأفهام وكما قال ابن عباد فى مراتب الشهود ان التفرقة بين حقائقها على ماهى عليه تعسر العبارة عنها وأنه زلت بسبب ذلك أقدام كثير من الناس . وقال صاحب التعرف مشاهدات القلوب ومشاهدات الاسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق بل تعلم بالمنازلات والمواجيد ولا يعرفها إلا من نازل تلك الاحوال . زاد القونوى فى شرحه ونظير ذلك حال المسرور والمهموم ومن اتصف بالسرور والهموم قال وقد يجد الانسان

(١) كذا بالأصل ولعل صوابه فيطرأ .

فى نفسه أموراً يتحققها وتضيق عنها عبارته ويقصر عن تعريفها إشارته. الثانى أن يكون من استعمال اللفظ فى معنى آخر غير المشهور على ألسنة العلماء تواضعا منهم أو اصطلاحا بينهم كلفظ الاتحاد فانه يطلق على المعنى المرادف للحلول كما جمع بينهما الغزالى والبيضاوى وذلك كفر ويطلق بمعنى التوحيد وإفراد الأمر كله لله وقد نبه على ذلك من أئمة التحقيق العلامة سعد الدين التفتازانى ولهذا قال سيدى على وفا فى قصيدة.

يظنون بى حلولا واتحاداً وقلبى من سوى التوحيد خالى

فتبرأ من الاتحاد بمعنى الحلول. وقال فى أبيات أخر

وعلمك أن كل الأمر أمرى هو المعنى المسمى باتحاد

فذكر أن المعنى الذى يريدونه بالاتحاد إذا أطلقوا هو تسليم الأمر لله وترك الارادة معه والاختيار والجرى على مواضع أقداره من غير الاعتراض وترك رؤية الخلق ونسبة العطاء والمنع مثلا إليهم. وقال أبو يعقوب الخالص من الأعمال ما لم يعلم به مالك فيكتبه ولا عدو فيفسده ولا النفس فتعجب به قال صاحب التعرف معناه انقطاع العبد إلى الله والرجوع إليه من فعله. قال القونوى أى إذا كمل انقطاع العبد إلى الله وفناؤه عن فعله يصير فعله كلا فعل فكأنه لم يفعل شيئاً فلا الملك يكتبه ولا العدو يفسده ولا النفس تعجب به أى على سبيل التشبيه والتقدير إذ التقدير أعطى الموجود حكم المعدوم أو بالعكس. قال وأكثر ما يقع فى كلام هذه الطائفة من الاشارات محمول على هذا النوع من الاستعارات ومن حملها على ظاهرها أشكلت عليه معانيها فأساء الظن بهم انتهى. الثالث أن يكون ما وقع فى ألفاظهم مضافا إلى أنفسهم وهو مما لا يضاف إلا إلى الله تعالى فانهم يقصدون به حكايته عن الله فان الكلام ينقسم إلى ما يحكيه المتكلم عن نفسه وإلى ما يحكيه عن غيره وإن لم يصرح بالاضافة إليه كحديث البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه

من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة فهذا إنما قاله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه وإن لم يصرح به وقال تعالى (وما منا إلا له مقام معلوم) فهذا على لسان الملائكة وقال وما نتنزل إلا بأمر ربك فهذا على لسان جبريل وهذا نوع لطيف حررت الكلام فيه فى الاتقان ومثاله قول سيدى على وفا رحمه الله تعالى والمسلمين:

كمالك طاعتى فى كل حال ونقصك أن تعاند فى مرادى

فان هذا قاله على لسان الحقيقة وكذا قول ابن الفارض .

وإن عبد النار المجوس وما انطفت كما جاء فى الأخبار فى ألف حجة

فما عبدوا غيرى وما كان قصدهم سواى وإن لم يضمروا عقد نيتى

قاله أيضا على لسان الحقيقة مشيرا به إلى أن عبادة الكفار وسجودهم للنار والصنم والوثن واقع فى الحقيقة لله تعالى لأن المذكورات أقل أن تعبد ويسجد لها فتقع السجدة لله على رغم أنف الساجد وهو كافر بنية السجود لغير الله وهذا معنى قوله تعالى ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها .أخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عن قتادة فى الآية قال المؤمن يسجد لله طائعا والكافر يسجد لله كارها. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم بسند صحيح عن ابن عباس فى قوله وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها الآية قال عبادتهم لى أجمعين طوعا وكرها. وأما حسن الظن وعدم الوقيعة فذاك هو الذى دلت عليه الآيات(١)

---

(١) كآية يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن قال ابن عباس في تفسيرها نهى الله المؤمن أن يظن بالمؤمن سوأ أسنده عنه ابن جرير والبيهقى فى الشعب وروى مالك ومن طريقه الشيخان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث وروى ابن أبى شيبة من طريق مجالد عن الشعبى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم نظر الى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك وللمسلم أعظم حرمة منك حرم الله دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء وكذا رواه البيهقى في الشعب من طريق حفص بن عبد الرحمن عن شبل

والأحاديث والآثار ونصوص العلماء ولأن يخطىء الانسان فى عدم السب خير من أن يخطىء في العقوبة والمقصد الشرعي من التحذير حاصل بالتنفير من ذلك الكلام من غير وقيعة فيمن نسب إليه وقد قال بعض الائمة لو عاش الانسان عمره كله لم يلعن إبليس لم يسأل الله عن ذلك . وقال السبكى في فتاويه اعلم أنا نستصعب القول بالتكفير لأنه محتاج إلى تحرير المعتقد وهو صعب من جهة الاطلاع على مافى القلب وتخليصه عما يشبهه وتحريره ويكاد الشخص يصعب عليه تحرير اعتقاد نفسه فضلا عن غيره واعتراف الشخص به هيهات أن يحصل وأما البينة فى ذلك فصعب قبولها لانها تحتاج إلى ماقدمنا . وسئل الشيخ ولى الدين العراقى عن ابن العربى وابن الفارض فأجاب ينبغى عندى أن لا يحكم على ابن العربى نفسه بشيء فانى لست على يقين من صدور هذا الكتاب عنه ولا استمراره عليه إلى وفاته . قال وأما ابن الفارض فالاتحاد فى شعره ظاهر لكن علماء عصره رووا عنه فى معاجمهم ولم يترجموه بشيء من ذلك . فقال الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى فى معجمه عمر بن على بن مرشد الشافعى الأديب سمع من القاسم ابن أبى القاسم ابن عساكر وحدث عنه سمعت عنه شيئا من شعره . وقال الحافظ رشيد الدين العطار فى معجمه الشيخ الفاضل الأديب كان حسن النظم متوقد الخاطر وكان يسلك طريق التصوف وينتحل مذهب الشافعى وأقام بمكة مدة وصحب جماعة من المشايخ . وقال الحافظ أبو بكر ابن مسدى فى معجمه بارع فى الأدب وكان رقيق الطبع عذب النبع فصيح العبارة دقيق الاشارة سلس القياد نبيل الأصدار والايراد متطرق متصوف كالروض الملفوف وتخلق بالزى وتزيا بالخلق وجمع من كرم النفس كل متفرق انتهى . وأما عدم الأذن فى قراءة هذه الكتب .

ابن عباد عن ابن أبي نجيح عن ابن عباس مرفوعاً به وروى ابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر باسناد ضعيف والأحاديث في المعنى كثيرة .

فنقول إما أن تكون لا تأويل لها صحيح فواضح أن قراءة مثل ذلك لا تجوز أو يكون لها تأويل صحيح ومخلص سائغ وحينئذفهنا كلامان أحدهما القارىء ونقول له مامرادك بقراءتك هذه الكتب أمجرد فهم العلم فهل أتقنت علوم الشريعة المهمة من الفقه الذى هو تكاليف محضة والحديث الذى هو آداب سنية والتفسير الذى هو معارف علية والآلات التى بها يتوصل إلى فهم ذلك كلا والله لاأتقنت ذلك ولا بعضه ولا المقرىء أيضا فهذا خروج عن قانون الأدب والعقل حيث تترك الاشتغال بالعلم المهم الى غير المهم وان كان مرادك أن تصير بقراءتها صوفيا محققا فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لو قرأت من هذه الكتب عدد رمل عالج فى مدة عمر نوح لم تصر صوفيا حتى يلج الجمل فى سم الخياط انما التصوف الدوب فى الطاعات وترك المخالفات وفطم النفس عن المألوفات وعدم التطلع الى مافى أيدى الناس من الأموال المباحات فضلا عن الشبهات وترك التوصل بالخلق والاعتماد على الله فى كل الحالات وترك النظر الى صحبة الملوك والأمراء فضلا عن سواهم من أهل الهيئات · قال الجنيد ما أخذنا التصوف من القال والقيل ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات · وإذا كان أهل الطريق ذموا من يشتغل بدقائق الفقه التى لايحتاج إليها إلا نادراً كعويص مسائل الحيض والاجارة والمساقاة وغير ذلك ورأوا العكوف على لزوم الطاعة وتطهير النفس أولى فكيف يسمحون للسالك بقراءة هذا الكتب التى لاتدخل لها فى السلوك ولا فى تربية المريد وإنما هى إشارات محضة عن وجدانيات حصلت لهم عند انتهائهم فرمزوا إليها وليس للسالك حاجة بها ولا تعويل فى سلوكه عليها · وقد ذكر الغزالى فى الاحياء سراً من الاسرار ثم قال لعل القدر الذى ذكرناه كان الأولى تركه إذ سالك هذه الطريق لايحتاج إلى أن يسمعه من غيره والذى لم يسلكه لم ينتفع بسماعه بل ربما يتضرر به إذ يورثه ذلك دهشة من حيث مالا يفهم

انتهى ولم يعهد لأحد من أئمة الطريق قديما ولا حديثاً عقد حلقة لتدريس مثل هذه الكتب وتقريرها كما يقرر سائر العلوم وإنما يأخذون المريد بالخلوة والانفراد وملازمة العبادات والذكر والأوراد ومجاهدة النفس ونحوها من وظائفهم المعروفة إلى أن يفتح الله عليه وكان المتوجه منهم ممن أذن له يعقد مجلسا للوعظ يتكلم فيه على الناس بالمواعظ الحسنة والحكم المستحسنة ويشير إلى ما في بواطنهم من الخبائث بما أطلعه الله عليه من الكشف ويصدع بالحق بصدق وإخلاص فيصلح الله بمواعظه خلقا ويشفي أدواءاً وينور قلوبا ويهدي بصائر من حيث لا يشعرون هذا مصطلح القوم وبه كانوا يعملون ولمثل ذلك كان ابن سريج يحضر مجلس الجنيد والشيخ أبو إسحاق الشيرازي يحضر مجلس أبي نصر القشيري في الكلام . الثاني يتعلق بالمقرى فنقول له أيها الشيخ نفعنا الله وإياك عليك أن تأخذ المريدين بالآداب التي قررها أهل الطريق ولا تمكنهم من قراءة هذه الكتب التي هي مضلة الفهوم على تقدير أن يكون من المحققين العالمين بتأويله على أحسن المسالك فان اشتغالهم بهذه يشغلهم عما هم بصدده من السير هذا على تقدير أن يكونوا مستعدين لفهمها ذوي أذهان صحيحة لا يقبلون البدعة ولا تروج عليهم الشبهة فكيف إذا كانوا على خلاف ذلك ولو لم يكن إلا عدم معرفتهم بقواعد علم الكلام وما يجوز على الله وما يستحيل عليه من الصفات وما يتعلق بالنبوات وما يتعلق بحدوث العالم وما يترتب على ذلك من الأمور المهلكات عافانا الله من كل بلية وعصمنا من الزيغ إنه جواد كريم . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. واخرج حب الدنيا من قلوبنا فانها رأس كل خطيئة وانزع حب الرياسة من رؤوسنا فان النفس أمارة بالسوء حبا للمراتب العلية اللهم ارزقنا عصمة بك واستمساكا بكتابك ووقوفا تحت أقدام نبيك سيد المرسلين . وإمام المتقين. وقائد الغر المحجلين . لا أريد بسنته بدلا ولا أبغي عنها حولا ولا أتزحزح عن

آدابها السنية لاقولا ولا فعلا فى ليلى ونهارى وعشيتى وإبكارى ويقظتى ومنامى ومحياى ومماتى من ذا الذى يصل إلى مولاه من غير بابه ومن ذا الذى يوثق بعراه سوى كريم أحبابه ﷺ وعلى سادات السادات آله وأصحابه (تذنيب) تقدم ذكر المتخلق بالصفات فربما ظن أن المتخلق اتصف بصفات الله حقيقة وهذا محال إنما أخذ الاسم فقط لا المعنى الذى وصف به البارى بل بمعنى حادث يليق بالعبد كما تقدم تقريره فى كلام القسطلانى فالرحيم مثلا تطلق على الله وعلى غيره لكن معناه فى حق العبد رقة القلب وهو محال على الله فالرحمة فى حقه سبحانه إرادة إيصال الخير أو فعله على الخلاف فى كونها صفة ذات أو صفة فعل . قال الغزالى فى الاحياء الأسامى كلها إذا أطلقت على الله وعلى غير الله لم تطلق عليهما بمعنى واحد اصلا حتى أن اسم الموجود الذى هو أعظم الأسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق بوجه واحد بل كل ماسوى الله فوجدوه تابع لوجوده والوجود التابع لايكون مساويا لوجود المتبوع وإنما الاستواء فى إطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر فى اسم الجنس وليسا متشابهين فى الجنسية وهذا التباعد فى سائر الأسامى أظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق انتهى وها هنا انتهى الكلام فى الأمر الأول وهو التنزيه عن الحلول والاتحاد وقد أطلنا فيه وحق لنا أن نطيل فانه مزلة أقدام . (الأمر الثانى) القول بالاباحة وهذا أيضاً لم يقل به أحد من المعتبرين وإنما قال به بعض الغلاة زعموا أن الانسان إذا وصل إلى حد الفناء سقط عنه التكليف وأبيحت له المحرمات وقد تقدم فى كلام القسطلانى الاشارة إلى ذم ذلك وأنه زندقة وكذا فى كلام أبى نعيم قال القاضى عياض مامعناه الاجماع على تكفير من قال بتعطيل الأوامر والنواهى من المتصوفة وأصحاب الاباحة . وقال القونوى فى شرح التعرف يحكى عن طائفة من أهل الزيغ والضلال أن العبد إذا وصل إلى الله سقط عنه التكاليف وعللوا ذلك بأن المقصود من التكليف هو القرب والوصول إلى الله

فاذا حصل المقصود فلا حاجة إلى الوسيلة وهذا محض الكفر والالحاد فى دين الله فان من المعلوم بالضرورة أن أقرب الناس إلى الله أنبياؤه ورسله ولم يرتفع عنهم التكليف إجماعا فمن دونهم أولى . قال وذكر الغزالى أنه إن وقع فى كلام أحد من المعتبرين مايوهم ذلك فتأويله أنه يسقط عنه كلفة التكليف لا نفس التكليف ومعنى ذلك أنه يتلذذ بالعبادات فلا يجد لها كلفة فى الصلاة وقوله أرحنا بها يا بلال (١) ونحو ذلك انتهى والدليل على أن طريق الجنيد والشاذلى بريئة من ذلك ماذكر فى ترجمة الجنيد أنه حضر وقت موته وهو يصلى فكان قاعداً يصلى ويثنى رجليه كلما أراد أن يسجد فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله فصلى وهى ممدودة فقيل له لو اضطجعت فقال هذا وقت يؤخذ منه ولم يزل ذلك حاله حتى مات . وقال أبو عبد الرحمن السلمى سمعت جدى يقول دخل أبو العباس بن عطاء على الجنيد وهو فى النزع فسلم عليه فلم يرد عليه ثم رد عليه بعد ساعة فقال اعذرنى فانى كنت فى وردى ثم حول وجهه إلى القبلة وكبر ومات . وقال أيضاً سمعت عبد الواحد بن بكر قال سمعت محمد بن عبد العزيز يقول سئل الجنيد عمن لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار مص نواة فقال المكاتب عبد ما بقى عليه درهم وقال الشيخ (٢) فى دعائه لما قال واعطنا كذا وكذا والرزق الهنى الذى لا حجاب به فى الدنيا ولا عقاب عليه فى الآخرة على بساط التوحيد والشرع . قال الشيخ تاج الدين فى التنوير قوله على بساط علم التوحيد أى على أن أشهدك فيما رزقتنى وأراك فيما أطعمتنى فلا أشهد ذلك من غيرك ولا أضيفه الى أحد من

---

(١) رواه أحمد وأبو داود من حديث رجل من الصحابة لم يسم باسناد صحيح وقد سمي في رواية الطبرانى من طريق عيسى بن يونس عن مسعر عن عمرو بن مرة عن سلمان بن خالد أراه من خزاعة قال وددت أنى صليت فاسترحت فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يا بلال أقم الصلاة وأرحنا بها .

(٢) كذا بالأصل والمراد به أبو العباس المرسى فان هذا من حزبه المذكور في لطائف المنن

خلقك وكذا أهل الله لا يأكلون إلا على مائدة الله أطعمهم من أطعمهم لعلمهم أن غير الله لا يملك معه شيئا فسقط بذلك شهود الخلق عن قلوبهم فلم يصرفوا لغير الله حبهم ولا وجهوا لمن سواه ودهم إذ رأوا أنه أطعمهم ومنحهم من فضله . وقوله والشرع لأن من استرسل مع إطلاق التوحيد ورأى أن الملك لله تعالى وأن لا ملك لغيره معه ولم يتقيد بظواهر الشريعة فقد قذف فى بحر الزندقة وعاد حاله بالوبال عليه ولكن الشأن أن يكون بالحقيقة مؤيدا وبالشريعة مقيدا فان الانطلاق مع الحقيقة من غير تقييد بالشريعة تعطيل الأمر الثالث . القول بالوحدة المطلقة وقد بين القسطلانى فيما تقدم نقله عنه أن هذا القول قال به بعض المتصوفة الذين اشتغلوا بعلوم الأوائل وادخلوها فى فنهم ومن مذهب الفلاسفة القول بقدم العالم وقدم الأرواح وإثبات الهيولى وكل ذلك تغير خارج عن ملة الاسلام نعوذ بالله منه وعليه تتفرع الوحدة المطلقة وممن ركب له تصوفا على مذهب الفلاسفة ابن سينا ذاك الأعمى القلب والبصيرة فجزى الله أئمتنا خيراً الذين حرموا الاشتغال بعلم المنطق والفلسفة حذرا من أن يجر إلى شىء من عقائدهم الفاسدة كما قال ابن الصلاح فى تعليل ذلك مدخل الشر شر والعجب ممن أراد الوصول إلى مرتبة الصالحين وترك سنة سيد الأنبياء والصالحين رسول الله ﷺ وعمد إلى سنة قوم كفار ضلال وبنى قواعده عليها ليصل . نعم وصل ولكن إلى شفا جرف هار . وقد حدثت عن العلامة الكريمى أنه حكى أن بعضهم رأى النبى ﷺ فى النوم فسأله عن الغزالى والفخر الرازى وابن سينا فأثنى على الغزالى خيرا كثيرا وقال فى الفخر إنه معاتب وقال فى ابن سينا إنه أراد أن يصل إلى الله بغير واسطتى فانقطع واذا تأملت كتب المعتبرين كرسالة القشيرى وغيرها وكلام الشاذلى و كتب الشيخ تاج الدين لم تجد فيها لفظة من ذلك وإن وقع فى كلامهم لفظ الوحدة فمرادهم به التوحيد وانفراد الله بالوجود ولوازم الوجود لا ذلك الذى يريده

أولئك . الأمر الرابع الاعتماد على كل خاطر سواء وافق الشرع أم خالفه وربما كان صاحب هذا الخاطر ممن لم يتقدم له نظر فى الشرعيات أصلا لا أصولا ولا فروعا وربما انضم إليه أنه لم تحصل له الرياضة التى يشرطها أهل القول بالإلهام فلا حصل هذا ولا هذا ثم أخذ يعتمد على جميع وساوسه وخواطره ويقررها ويدونها ويعمل عليها ويدعى أنها التحقيق ويرد بها القواعد الشرعية والأحاديث النبوية ويزعم أن الفقهاء بعيدون عن هذا الذوق فليت شعرى أجاءه من الله جبريل فأخبره أن خاطره معصوم وأن الفقهاء كلهم حجبوا عن هذا الأمر وإدراك أنه حق بل هذا خرق لإجماع كل طائفة حتى الصوفية فإنهم نصوا على أن الخواطر غير معصومة وأنها لا بد من عرضها على الكتاب والسنة وأن لا بد من تقدم الاشتغال بهما . قال أبو سليمان الدارانى ربما تقع فى قلبى النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين من الكتاب والسنة .وقال أبو حفص الحداد من لم يزن أفعاله وأحواله فى كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده فى ديوان الرجال . وقال الجنيد الطريق مسدود على الخلق إلا على من اقتفى آثار رسول الله ﷺ وقال من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وقال مذهبنا هذا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الغزالى فى الإحياء فى باب العزلة المحتاج إلى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وإن تعلم الفرض وكان لا يتأتى منه الخوض فى العلوم وراء الاشتغال بالعبادة فليعتزل وإن كان يقدر على التبرز فى علوم الشرع والعقل فالعزلة فى حقه قبل التعلم غاية الخسران ولهذا قال النخعى وغيره تفقه ثم اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو فى الأكثر مضيع أوقاته بنوم أو فكر فى هوس وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها فلا ينفك عن أنواع من الغرور تخيب سعيه وتبطل عمله من حيث لا يدرى ولا ينفك فى اعتقاده فى الله وصفاته عن أوهام يتوهمها وعن خواطر

فاسدة تعتريه فيها فيكون فى أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه فى العباد فالعلم هو أصل الدين فلا خير فى عزلة العوام والجهال · وقال فى باب الالهام زعم قوم من أهل التصوف أن الطريق فى حصول الالهامات أولا قطع علائق الدنيا بالكلية فيفرغ قلبه عنها ويقطع همه عن الأهل والمال والولد وعن العمل والولاية والجاه ويصير قلبه إلى حالة يستوى فيها وجود كل ذلك وعدمه ثم يخلو بنفسه فى زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ الهم مجموع القلب ولا يفرق فكره لقراءة قرآن ولا يتأمل فى تفسيره ولا يكتب حديثاً ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شىء غير ذكر الله تعالى ويلزم فى الخلوة قول الله الله الله على الدوام مع حضور القلب إلى أن ينتهى إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على اللسان ثم يصير على ذلك إلى أن ينمحى أثرها عن اللسان فيصادف قلبه مواظباً على الذكر ثم يواظب إلى أن ينمحى من القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا فى قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار فى استدامته فى هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار فى استجلاب رحمة الله بل هو بما قد فعله قد تعرض لنفحات الرحمة فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من رحمته فعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق فى قلبه ويكون فى ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتاخر وإن عاد فقد يثبت وقد يكون مختلفا وإن ثبت فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهرا مثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل أولياء الله فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوتهم وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد أو انتظار فقط · وأما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذ الطريق وإمكانه وإفضاءه إلى المقصود على الندور

ولكن استوعروه واستبطئوا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وقالوا إن محو العلائق إلى ذلك كالمتعذر فان حصل فى حالة فثباته أبعد منه إذا بدا وسواس وخاطر يشوش القلب قال رسول الله ﷺ قلب المؤمن أشد تقلبا من القدر إذا استجمعت غليانا (١) وقال صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن (٢) وفى أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن وإذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن تزول والعمر ينقضي دون النجاح فيها فكم من صوفى سلك هذه الطريق ثم بقى فى خيال واحد عشرين سنة ولو كان هذا قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال فى الحال فالاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى الغرض وقالوا إن ذلك يضاهى مالو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم أن النبى ﷺ لم يتعلم ولكن صار فقيها بالوحى والالهام عن تكرار وتعليق وزعم أنه ربما انتهى بالرياضة إلى ذلك ومن ظن ذلك ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكن بعيد جداً فكذلك هذا وقالوا لابد أولا من تحصيل ماحصله العلماء فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك انتهى كلام الغزالى . وقال القطب القسطلانى فى علوم هذه الطائفة مواجيد ترد عليهم من سوابق أعمال حصلت لديهم وأحوال ورثوها عن أعمال صححوها فلا يرث الأعمال إلا من صحح الأحوال وأول ذلك علوم الشريعة المتعين عليها من علم الفقه وأصول الدين على طريق الكتاب والسنة والسلف الصالح

(١) رواه أحمد والحاكم وصححه من حديث المقداد بن الاسود بلفظ قلب المؤمن أشد تقلبا من القدر فى غليانها

(٢) لفظ الحديث إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء كذا رواه أحمد ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

دون التعمق فى البحث عن دقيق الشبه وغوامضها فاذا حصل من ذلك مافيه كفاية استعمل ماعلم وجد فى الخدمة ما استطاع فأول مايلزمه البحث عن آفات النفس وعللها ومعرفة دخلها وخللها وتهذيب أخلاقها والتوسل إلى سد طرق أبواب فتنة الدنيا ومكايد الشيطان والاجتهاد والاحتراز منها وهو جل علم الحكمة الذى قال الله تعالى فيه ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا فاذا تمرنت النفس على هذه الحالات والوظائف ولانت أخلاقها وطباعها عن القسوة والفظاظة وتطهر ظاهرها وصفا باطنها تمكن السالك حينئذ من مراقبة خواطره وتصفية اسراره وهو المعبر عنه بعلم المعرفة ولسان العبارة يفصح عنه ثم بعده علم الخواطر والمكاشفات والمشاهدات وهو الموصوف بعلم الاشارة وهذا العلم من خصائص الصوفية بعد مشاركتها فى العلوم المشهورة المذكورة وانما قيل له علم الاشارة لأنه يقصر عنه لسان العبارة لأنه علم ذوق ومنازلة ومواجيد متواصلة ولا ينحصر ذلك فى عبارة لقائل وإنما يجرى على اللسان ماهو نفع وتعليم لقائل فقد روى مرسلا (١) من حديث سعيد بن المسيب قال قال رسول الله ﷺ إن من العلم كهيئة المكنون لايعلمه الا أهل المعرفة فاذا نطقوا به لم ينكره الا أهل الغرة بالله وروى مسندا من حديث عطاء عن أبى هريرة (٢) وقال فى موضع آخر لاغنى بالمتوجه عن العلم فان لم يتسع وقته له سأل عن أمر دينه ولا يستبد بما يخطر له فى ذلك فانه يخرج به عن طريق الاستقامة انتهى . وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه إذا كنت فى درجة الخواص من القاصدين وعرض لك فى عزلتك الوسواس بما يشبه العلم من طريق الألهام والكشف من حيث التوهم فلا تقبل وارجع إلى الحق المقطوع من كتاب وسنة . واعلم أن الذى

---

(١) لم أقف على هذا المرسل .

(٢) كذلك رواه أبو عبد الرحمن السلمى فى الأربعين والديلمى فى مسند الفردوس والطبسى فى الترغيب من طريق عبد السلام بن صالح الهروى بسنده المتقدم

عارضك لو كان حقا فى نفسه وأعرضت عنه إلى الحق بكتابه وسنة رسوله لما كان عليك عتب فى ذلك لأنك تقول إن الله قد ضمن لى العصمة فى جانب الكتاب والسنة ولم يضمنها لى فى جانب الكشف والالهام والمشاهدة فكيف لو قبلت ذلك من طريق الالهام لم تقبله إلا بالعرض على الكتاب والسنة فاذا لم تقبله إلا بهما فما بالك تأنس بالوساوس المتوهمة فاحفظ هذا الباب حتى تكون على بصيرة من ربك ويتلو الشاهد ذلك والبينة لاخطأ معها ولا إشكال والحمد لله انتهى (تذنيب) وقع من بعض من يشتغل بكتب التصوف أنه رآى فى كلام بعضهم شيئاً توهم منه أنه يقول بايمان فرعون فأخذ بظاهره وجعل يقول أكثر ما فى القضية أنه حسن الظن برجل فقلت له تحسنه برجل شهد القرآن بكفره فقال فى القرآن مايدل على إيمانه وهو قوله قال آمنت الآية قلت هذه حكاية لفظية لاشهادة بايمانه والتلفظ بالايمان فى مثل هذه الحالة لا ينفع قال تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا فقال ليس فى القرآن تصريح بأنه فى النار فقلت قوله تعالى أدخلوا آل فرعون أشد العذاب فقال ذكر آله ولم يذكره فقلت مع أن ماقاله جهل صرف قوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار فقال أوردهم ورجع عنهم فقلت الله أكبر هذه آفة من ترك مايعنيه واشتغل بغيره فلو نظر هؤلاء فى تفسير الكتاب العزيز وأحاديث النبي ﷺ حتى أشرق فى قلوبهم العلوم الشرعية والآداب السنية لعلموا كفر فرعون علما يقينيا يقضون بكفر من قال بايمانه لتكذيبه النصوص الواردة فى الكتاب والسنة ولم يقصد صاحب هذه المقالة مافهموه عنه إنما ضرب قصة فرعون مثلا للنفس فان فرعون لم يرجع عن غلوه واستكباره بشىء من الآيات والعظات حتى أدركه الغرق فاضطره إلى أن نطق بكلمة الايمان وأذعن للذل فكذلك النفس إذا لم ترجع لشىء من المواعظ والزواجر فعلاجها أن تغرق فى بحر المجاهدة لتؤمن والله الموفق وبهذا تعرف أنه لاحاجة لمن يأخذ فى الشكوك إلى قراءة شىء من الكتب إنما ضرورته

إلى تعلم السنة والفقه ثم العمل بما علم ومجاهدة النفس وتهذيبها والله المستعان

﴿ فصل ﴾ أنكر على بعض الصوفية أنه وقع منه أن درجة الولاية أفضل من درجة النبوة وهذا القول كفر قطعا وهذا القول لم يقصد به مايفهم من ظاهره بل هو مؤول بما سنذكره ومع كونه مؤولا فهو شاذ مردود لم يقل به إلا بعضهم وهو رد عليه وتأويله ماذكره الشيخ علاء الدين القونوى فى شرح التعرف أن الولاية والنبوة بينهما عموم وخصوص مطلق فكل نبي ولي ولا عكس فلا ينفك النبي عن كونه وليا أصلا كما أن بين النبوة والرسالة عموما وخصوصا مطلقا فلا ينفك الرسول عن كونه نبيا أصلا قال صاحب هذه المقالة إن النبي من حيث كونه وليا أفضل منه من حيث كونه نبيا لأن الولاية وجهته إلى الحق والنبوة وجهته إلى الخلق ولا يلزم من ذلك ماظن من المحذور لأنه إنما كان يلزم تفضيل الولى على النبي لو وجد نبي غير ولى وهذا لا يوجد كما تقدم فالنبى فيه الولاية وزيادة النبوة فهو أجل مقاما وأسنى قدراً بل لامناسبة بين مقامه ومقام غيره البتة ونظير هذا ماقاله الشيخ عز الدين ابن عبد السلام مقام النبوة أفضل من مقام الرسالة كما حكاه ابن جماعة فى شرح جمع الجوامع عنه نظراً إلى أن النبوة مقام العمل فهى متعلقة بالله تعالى والرسالة مقام التبليغ فهى متعلقة بالخلق ثم إنه لايلزم من هذه المقالة تفضيل النبى على الرسول لأنه لايوجد رسول وهو غير نبي حتى يلزم ذلك بل الرسول نبي وزيادة الرسالة فهو أفضل من النبى قطعا لاجتماع المقامين فيه فافهم . وقد قال الشيخ أبو العباس المرسى فى قول أبى يزيد البسطامى خضت بحرا وقف الأنبياء بساحله إنما يشكو أبو يزيد بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالأنبياء ومراده أن الأنبياء خاضوا بحر التوحيد ووقفوا فى الجانب الآخر على ساحل الغرق يدعون الخلق إلى الخوض أى فلو كنت كاملا لوقفت حيث وقفوا . قال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله وهذا الذى فسر به الشيخ كلام أبى يزيد هو اللائق

بمقام أبي يزيد فان المشهور عنه التعظيم لمراسم الشريعةوالقيام بكمال الأدب حتى أنه حكى عنه أنه وصف له رجل بالولاية فأتى إلى زيارتهفقعدفي المسجد ينتظره فخرج ذلك الرجل وتنخم فى حائط المسجدفرجع أبو يزيد ولم يجتمع به وقال هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة كيف يؤمن على أسرار الله · قال وما جاء عن الأكابر أولىالاستقامة مع الله سبحانهمن أقوال وأفعال يستنكر ظاهرها أولناها لهم لما علمنا من استقامتهم وحسن طريقتهم وقد ورد لا تظنن بكلمة برزتمنمسلم سوءاً وأنتتجد لها فى الخيرمحملا (١) وقد قال الشيخ أبوالعباس جميع ماأخذالأولياء مما أخذ الأنبياء كزق مليءعسلا رشحت منه رشحات فما فى باطن الزق للأنبياء وتلك الرشحات للأولياء وقال أيضاً الأنبياء يطالعون حقائق الأشياء والأولياء يطالعون مثالها لاهي ولهذا قال حارثة لما سأله ﷺ عن حقيقة إيمانه وكأنى أنظر إلى أهل الجنة ولم يقل نظرت (٢) وعبارة القونوى فى هذه المسألة لانعلم خلافا بين المقرين بالنبوات فى تفضيل الأنبياء وما يعزى إلى بعضهم من تفضيل الولى فقد تأوله هو أو غيره بأن كل نبي ولى قطعاً وهو من حيثأنه ولى أفضل منه منحيث أنه نبي لأن ولايته وجهته إلى الحق ونبوته وجهته إلى الخلق وفيه مع ذلك مالا يخفى من الاستبشاع من جهةالاطلاق . وقال صاحب التعرف وأجمعوا على أن الأنبياء عليهم الصلاةوالسلامأفضل من البشر وليسفى البشر من يوازى الانبياء فىالفضل لاصديقولا ولى ولا غيره وإنجل قدره وعظم خطره وعلت رتبته . قال القونوى قصده فى هذا الكلام الرد على ما يروى عن طائفة من الضلال أن الولى أفضل من النبي وهذا إلحاد وضلال عند أهل التحقيق وكفر لايعتقده إلا كل زنديق ومن ادعاه حكم عليه بالتكفير

---

(١) هو من كلام عمر رضى الله عنه وقد قدمت تخريجه .

(٢) خرجته فيما تقدم .

والتضليل قال نعم وقع فى كلام بعض المتأخرين (١) أن الولاية أفضل من النبوة وتأوله من يحسن الظن فيه بأنه أراد أن النبي فيه صفتان وذكر نحو ماتقدم ﴿فصل﴾ ومما أنكر عليهم ذكرهم أنهم يرون النبي ﷺ يقظة وهذا لا إنكار فيه وممن نص على إمكانه ووقوعه من أئمة الشرع الغزالى واليافعى وفى كلام القرطبي إشارة إليه . وذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلى أنه رأى النبي ﷺ يقظة وحمله السلام إلى الشيخ عز الدين ابن عبد السلام وبلغه ذلك ولم ينكره هو ولا أحد من علماء عصره وقد ألفت فى المسألة تأليفاً (٢) فاغنى عن بسط الكلام فيها هنا نعم يتحرز فى ذلك من أهل الدعاوى الكاذبة بالاختبار والامتحان وقد ادعى شخص مرة ذلك فاجتمع به بعض أهل الفطنة واختبره فوجد أمارات البطلان لائحة عليه وظلمة الكذب ظاهرة على وجهه ثم رأى رجل يوثق به النبي ﷺ فقال له هذا لفلان وذكره مبطل فليحذر (٣) ثم أخمد الله أمره كعادة المبطلين (فصل) ومما أنكر عليهم قديماً أمر الخضر واجتماعهم به وحياته وممن أنكر ذلك ابن الجوزى وقال إنه لو كان حيا لاجتمع بالنبي ﷺ ولو اجتمع به لورد وقد رد الناس على من أنكر ذلك . قال ابن الصلاح الخضر حى عند جماهير العلماء والصالحين وإنما شذ بانكاره بعض المحدثين. وقال النووى فى شرح مسلم جمهور العلماء أنه حى موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة انتهى وألف غير واحد كتبا فى ذلك آخرهم شيخ الاسلام ابن حجر (٤) وقد ورد فى عدة أحاديث اجتماعه بالنبي

---

(١) يعنى به ابن العربى فانه الذى اشتهر عنه هذا الكلام وهو فى فتوحاته

(٢) هو تنوير الحلك بامكان رؤية النبى والملك

(٣) كذا بالأصل

(٤) تأليفه مطبوع ضمن المجموعة المنيرية وقد بسط الكلام فيه أيضاً فى الاصابة بما لايوجد لغيره

ﷺ وعندى أنها وإن كانت ضعيفة فكثرة الطرق والاخبار تقويها وتعزيته للصحابة عند موت النبي ﷺ وقول على هذا الخضر وسكوت الصحابة على ذلك يكاد يكون إجماعا وقصة اجتماعه بعمر بن عبد العزيز إسنادها صحيح (١) والأخبار فى شأنه كثيرة وقد سقتها فى كتاب حلية الأولياء وفى التفسير المأثور ﴿ فصل ﴾ وأنكر عليهم بعض العلماء ذكر الأبدال والنجباء والأوتاد والأقطاب قائلا إنه لا أصل لذلك فى الحديث وليس كما زعمه فقد وردت الأحاديث والآثار بذلك وقد جمعتها فى مؤلف (٢) فأغنى عن ذكرها هنا ﴿ فصل ﴾ قال القونوى قد يقع فى كلام بعض العارفين مايوهم الجبر من نفيهم الاختيار والغفلة عن أنفسهم ومرادهم عدم الملاحظة لذلك لاستغراقهم فى النظر إلى ما منه تعالى لا إلى ما منهم ﴿ فصل ﴾ ومما أنكر عليهم قولهم فى الروح فاعلم أن فى ذلك ثلاث فرق فالأولى وهى الفرقة المرتضاة الوقوف عن الخوض فيها تأدبا مع الله وهذه طريقة الجنيد . قال الجنيد الروح شىء استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه ولا يجوز العبارة عنه بأكثر من موجود لقوله تعالى قل الروح من أمر ربى . وقال السهروردى بعد ذكره أن الناس تكلموا فى الروح وكان الأولى الامساك عن ذلك والتأدب بأدب النبي ﷺ وذكر ماقاله الجنيد ثم قال ويجوز أن يكون كلامهم فى ذلك بمتابعة التأويل لكلام الله حيث حرم تفسيره وجوز تأويله والتأويل ذكر المحتمل من غير القطع بذلك وهؤلاء هم الفرقة الثانية وقد أطبقوا على القول بأنها حادثة وشذت فرقة ثالثة غلاة فذهبت إلى القول بقدمها وهذه نزعة فلسفية نعوذ بالله منها وحسن بعضهم العبارة فقال الروح موجود عظيم لا يوصف بأنه محدث ولا قديم وزعم أن الأرواح الجزئية أشعة ورقائق من

---

(١) ذكر هذه الآثار وضعف أضعافها بأسانيدها الحافظ فى الكتابين المذكورين

(٢) اسمه الخبر الدال وهو مطبوع

ذلك الروح الأعظم وهذا أيضاً فاسد . قال القونوى وأكثر ماوقع ذلك فى عبارة المتأخرين والحق أن القديم هو الله تعالى وصفاته وكل ماسواه من الأرواح والأجسام حادث انتهى . قلت أتقن هذا الفصل وأحكمه جيداً واعتقد حدوث الروح وكرره فى ذهنك حتى يختلط بلحمك ودمك وإياك أن تغتر وتقبل قول من حرف فان أكثر ماوقع الزلل للمتأخرين وغيرهم من هنا والله الموفق

﴿فصل﴾ وأما السماع فان كان بغير آلة فمذهبنا أنه ليس بحرام فلا إنكار فيه وقد كان يحضره الأئمة من كل مذهب فى كل عصر روى الحافظ محمد بن طاهر المقدسى بسنده عن مصعب بن الزبير قال حضرت مجلس مالك بن أنس فسأله أبو مصعب عن السماع فقال مالك أهل العلم ببلدنا لا ينكرون ذلك ولا يقعدون عنه ولا ينكره إلا غبى جاهل أو ناسك عراقى غليظ الطبع . وروى أيضاً بسنده عن صالح بن أحمد بن حنبل أنه كان يحب السماع وأنه أحضر رجلا يغنيه فسمعه أبوه . وقال ابن طاهر أيضاً أخبرنا أبو محمد التيمى قال سألت الشريف أبا على محمد بن أحمد بن أبى موسى الهاشمى عن السماع فقال ماأدرى ماأقول فيه إلا أنى حضرت فى دار شيخنا أبى الحسن عبد العزيز بن الحارث التيمى شيخ الحنابلة سنة سبعين وثلثمائة فى دعوة عملها لأصحابه حضرها أبو بكر الأبهرى شيخ المالكيين وأبو القاسم الدارى شيخ الشافعيين وأبو الحسن طاهر بن الحسين شيخ أصحاب الحديث وأبو الحسين ابن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد وأبو عبدالله بن مجاهد شيخ المتكلمين وصاحبه أبو بكر الباقلانى حتى قال بعض الحاضرين لو سقط سقف عليهم لم يبق فى العراق من يفتى فى حادثة بسنة وكان رجل حاضر يقرأ بصوت حسن فقالوا له قل شيئاً فقال وهم يسمعون :

خطت أناملها فى بطن قرطاس ... رسالة بعبير لا بأنفاس
ابرز فديتك قف لى غير محتشم ... فان حبك لى قد شاع فى الناس

فكان قولى لمن أدى رسالتها قف لامشى على العينين لا الراس

قال ابن طاهر وآخر من كان يبيح استماعه من الائمة المقتدى بهم الشيخ أبو اسحاق الشيرازى وكان فى ورعه وزهده وتقشفه بالمحل الذى لايخفى انتهى . وقال البيهقى فى شعب الايمان قرأت على أبى عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى قال سألت الامام أبا سهل محمد بن سليمان عن السماع فقال يستحب ذلك لأهل الحقائق ويباح ذلك لأهل الورع ويكره ذلك للفساق ومن يسمعه تطريا . وقال القونوى فى شرح التعرف قدحضره من المتأخرين اشيخ عز الدين بن عبدالسلام والشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد وغيرهما من العلماء الأعلام أئمة الأسلام وذكر الاسنوى فى الطبقات أن الشيخ تاج الدين ابن الفركاح كان يحب السماع ويحضره وممن استحسنه أيضا القطب القسطلانى وذكر الماوردى فى الحاوى أن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب كان يستكثر من سماع الغناء ويشترى الجوارى لذلك (١) . إذا تقرر ذلك فها هنا أمور لا بد منها الأول أنه لايلزم مما ذكرناه أن ذلك حال كمال فقد قال الجنيد إذا رأيت المريد يطلب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه ليس من طريقه السماع . الثانى قال القونوى محل ماذكرناه من الترخص فى أمر السماع مالم يستكثر منه فأما من اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه أكثر أوقاته فمذموم نص عليه الغزالى وذلك لأنه انما فسح فيه لترويح القلب وربما يصير المباح عبادة محضة بالنية إذا نوى اجمام النفس كما قال أبو الدرداء رضى الله عنه إنى لأستجم نفسى بشىء من الباطل ليكون ذلك عونا

---

(١) ذكر هذا أيضا ابن عبد البر في الاستيعاب والادفوى فى الامتاع وروى الزبير بن بكار باسناده أن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما راح إلى منزل جميلة يستمع منها لما حلفت أنها لاتغنى لأحد إلا في بيتها وغنت له وأرادت أن تكفر عن يمينها وتأتيه لتسمعه فمنعها

على الحق . قال صاحب العوارف ولموضع الترويح كرهت الصلاة في أوقات لتستريح عمال الله وترتفق النفوس ببعض مآربها من ترك العمل . وفي كلام سهل بن عبد الله الصادق يكون جهله مزيدا لعمله. وباطله مزيداً لحقه ودنياه مزيدا لآخرته ولهذا المعنى حبب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ليكون حظ نفسه الشريفة الموهوب لها حقوقها لموضع طهارتها . الثالث قال صاحب العوارف قد كثرت الفتنة فى السماع وزالت العصمة فيه وتصدى للحرص عليه أقوام قلت أعمالهم وفسدت أحوالهم وأكثروا الاجتماع للسماع فصار السماع معلولا تركن إليه النفوس طلبا للشهوات واستحلاء لمواطن اللهو والفضلات وينقطع بذلك على المريد طلب المزيد ويكون طريقه به تضييع الأوقات وقلة الحظ من العبادات فلا يخفى أن هذا الاجتماع مردود عند أهل الصدق ولا سيما إن انضم إلى ذلك المرآة والتودد إلى بعض الحاضرين وغير ذلك من الأمور التى لا يعتمدها من المتصوفة إلا من ليس له من التصوف إلا مجرد زى وصورة بأن يكون القوال أمرد تنجذب النفوس إليه أو يكون للنساء إشراف على الجمع وتراسل البواطن المملوءة من الهوى فيكون ذلك عين الفسق المجمع على تحريمه وأهل المعاصى أحسن حالا ممن هذا حاله لأنهم يرون فسقهم وهذا لا يراه ويراه عبادة لمن لا يعلم ذلك . الرابع قال صاحب العوارف كان يقال لا يصلح السماع إلا لعارف مكين ولا يصلح لمريد مبتدى . وقال القونوى قد كرهه المشايخ للمريدين فى مبادىء إرادتهم قبل أن تتمرن نفوسهم بصدق المجاهدات . قال بعضهم لا يصلح السماع إلا لمن كانت له نفس ميتة وقلب حى فنفسه ذبحت بسيوف المجاهدة وقلبه حي بنور الموافقة والمشاهدة . الخامس قال صاحب العوارف كانوا لا يسمعون إلا من أهل مع أهل فلما فقدوا الاخوان تركوه . وقيل إن الجنيد ترك السماع فقيل له لم لا تسمع قال مع من قيل له أنت تسمع

لنفسك قال من السادس . قال أبو نصر السراج فى كتاب اللمع فى التصوف لا يصلح السماع للمريد حتى يعرف أسماء الله وصفاته ليضيف إلى الله ماهو أولى به ولا يكون قلبه ملوثا بحب الدنيا وحب المحمدة والثناء ولا يكون فى قلبه طمع للمخلوقين ويكون مراعياً لقلبه حافظاً لحدوده متعاهداً لوقته . السابع قال صاحب العوارف إن أنصف المنصف وتفكر فى اجتماع أهل الزمان وقعود المغنى بدفه والمشبب بشبابته وتصور فى نفسه هل وقع مثل هذه الجلسة والهيئة بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل استحضروا قوالا وقعدوا مجتمعين لسماعه فلا شك أنه ينكر ذلك من حال رسول الله ﷺ وأصحابه ولو كان ذلك فضيلة تطلب ما أهملوها . قال فمن يشير بأنه فضيلة تطلب ويجتمع لها لم يحظ بذوق معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ويستروح إلى استحسان بعض المتأخرين ذلك . قال وكثيراً ما يغلط الناس فى هذا كلما احتج عليهم بالسلف الماضين احتجوا بالمتأخرين وكان السلف أقرب الى عهد رسول الله ﷺ وهديهم اقرب إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى ، وقد وقفت على فصل (١) فى أحكام السماع للشيخ عز الدين ابن عبد السلام قال فيه مانصه السماع يختلف باختلاف السامعين والمسموع منهم وهم أقسام أحدها العارفون بالله ويختلف سماعهم باختلاف أحوالهم فمن غلب عليه الخوف أثر فيه السماع عند ذكر المخوفات وظهرت آثاره عليه من الحزن والبكاء وتغير اللون والخوف على أقسام أحدها خوف العقاب . والثانى خوف فوات الثواب . والثالث خوف فوات الحظ من الانس والقرب بالملك الوهاب وهذا من أفضل الخائفين وأفضل السامعين فمثل هذا لا يتصنع فى السماع ولا يصدر عنه إلا ماغلب عليه من آثار الخوف لأن الخوف وازع عن التصنع والرياء وهذا إذا سمع القرآن كان تأثيره فيه أشد من النشيد والغناء الثانى من غلب عليه

---

(١) هو فى آخر القواعد للعز المذكور

الرجاء فهذا يؤثر فيه السماع عند ذكر المطمعات والمرجيات فان كان رجاؤه الانس والقرب كان سماعه أفضل سماع الراجين وان كان رجاؤه للثواب كان فى الرتبة الثانية وتأثير السماع فى الأول أشد من تأثيره فى الثانى . الثالث من غلب عليه الحب وهو قسمان أحدهما من أحب الله لانعامه عليه وإحسانه إليه فهذا يؤثر فيه سماع الانعام والافضال والاحسان والاكرام الثانى من غلب عليه حب الله لشرف ذاته وكمال صفاته فهذا يؤثر فيه ذكر شرف الذات وكمال الصفات ويشتد تأثيره عند ذكر الاقصاء والأبعاد وهو أفضل من الذى قبله لأن سببه أفضل الأسباب . الرابع من غلب عليه التعظيم والأجلال فهذا أفضل من الأقسام الثلاثة إذ لاحظ فى سماعه لنفسه فان النفس تتضاءل وتتصاغر للتعظيم والاجلال فلا حظ لنفسه فى هذا السماع بخلاف من تقدم ذكره فى الأقسام فانهم واقفون مع ربهم من وجه ومع أنفسهم من وجه أو وجوه وشتان بين ماهو خالص لله وبين ماشاركته فيه النفوس فان المحب يلتذ بجمال محبوبه وهو حظ نفسه والهائب ليس كذلك وتختلف أحوال هؤلاء بالمسموع منه فالسماع من الأولياء أكثر تأثيرا من السماع من الجهلة الأغبياء والسماع من الأنبياء أشد تأثيراً من السماع من الأولياء والسماع من رب الأرض والسماء أشد تأثيراً من السماع من الأنبياء لأن كلام الرب أشد تأثيرا فى الهائب من كلام غيره كما أن كلام المحبوب أشد تأثيراً فى المحب من كلام غيره ولهذا لم يشتغل الأنبياء والصديقون وأصحابهم بسماع الملاهى والغناء واقتصروا على سماع كلام ربهم لشدة تأثيره فى أحوالهم ولقد غلط كثير من الناس فى سماع النشيد والغناء من جهة أن أصوات الملاهى وطيب النشيد وطيب الغناء فيها حظ للنفوس فاذا سمع أحدهم شيئا مما حرك حاله التذت نفسه بأصوات الملاهى ونغمات الغناء وذكره للنشيد بما يقضيه حاله من الحب والخوف والرجاء فتثور فيه تلك الاحوال فتلتذ النفس من وجه مؤثره ويؤثر السماع مايشتمل عليه الغناء من

الحب والخوف فيحصل له الامران لذة نفسه والتعلق بأوصاف ربه فيظن أن الكل متعلق بالله وهو غالط القسم الخامس· من يغلب عليه هوى مباح كمن يعشق زوجته أو سريته فهذا يهيجه السماع ويؤثر فيه الشوق وخوف الفراق ورجاء التلاق فيطرب لذلك فسماع مثل هذا لا بأس به. السادس من يغلب عليه هوى محرم كهوى المرد ومن لا يحل له من النساء فهذا يهيجه السماع إلى السعى فى الحرام وما أدى إلى الى الحرام حرام . القسم السابع . من قال لا أجد فى نفسى شيأ مما ذكرتموه فى الاقسام الستة فما حكم السماع فى حقى قلنا هو مكروه من جهة أن الغالب على العامة إنما هى الاهواء الفاسدة فربما هاجه السماع على صورة محرمة فيتعلق بها ويميل اليها ولا يحرم عليه ذلك لانا لا نتحقق السبب المحرم وقد يحضر السماع قوم من الفجرة فيبكون وينزعجون لاغراض خبيثة انطووا عليها ويراءون الحاضرين بأن سماعهم للاسباب المذكورة فى الاقسام الستة وهذا قد جمع بين المعصية وبين إيهام كونه من الاولياء وقد يحضر السماع قوم قد فقدوا أهاليهم ومن يعز عليهم ويذكرهم النشيد فراق الأحبة وعدم الأنس بهم فيبكى أحدهم ويوهم الحاضرين أن بكاءه لاجل رب العالمين وهذا مرائى بأمر غير محرم

﴿ فصل ﴾ لا يحصل السماع المحمود إلا عند ذكر الصفات الموجبة للاحوال السنية والافعال المرضية ولكل صفة من الصفات حال يختص بها فمن ذكر صفة الرحمة أو ذكر بها كانت حاله حال الراجين وسماعه سماع الراجين ومن ذكر شدة النقمة أو ذكر بها كان حاله حال الخائفين وسماعه سماع الخائفين ومن كان حاله المحبة فذكر جمال المحبوب أو ذكر به كانت حاله حال المحبين وسماعه سماع المحبين ومن كانت حاله حال المعظمين الهائبين فذكر العظمة أو ذكر بها كانت حاله حال المعظمين وسماعه سماع الهائبين المعظمين ومن كان حاله التوكل فذكر تفرد الرب بالضر والنفع والخفض والرفع والتقريب والابعاد فذكر ذلك أو ذكر له فى السماع كان حاله حال المتوكلين المفوضين وسماعه سماعهم وقد ينتقل كثير من

الناس فى السماع بين هذه الاحوال فينتقل من حال إلى حال على حسب اختلاف التذكير وقد يغلب الحال على بعضهم بحيث لا يصغى إلى مايقوله المنشد ولا يلتفت اليه لغلبة حاله الاولى عليه وقال صاحب كتاب معيار المريدين أما بعد فهذا ذكر الفرق التى غلطت فى الاباحة والحلول والاتحاد والتجسيم وبيان عوارهم والرد عليهم اعلم أن منشأ أغاليطهم جهلهم بأصول الدين وفروعه حيث تركوا العلم ومتابعته واتبعوا شهوات النفوس قال الله تعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون · وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم (٢) · إعلم أن من ليس معه سراج العلم ومشعلة العلم فلا تشكن فى إغواء الشيطان اللعين إياه وقد حذر الله تعالى عباده من موالاة الشيطان

---

(١) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث حذيفة رضى الله عنه وقال الترمذى حديث حسن وأعله البزار وابن حزم ورد عليهما الحافظ فى التلخيص ورواه الطبرانى في الكبير من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه وزاد فيه فانهما حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى التى لاانفصام لها وفي إسناده مجاهيل

(٢) رواه الدارقطنى فى غرائب مالك وابن عبد البر فى العلم من حديث جابر باسنادين ضعيفين ورواه عبد بن حميد في مسنده من حديث ابن عمر باسناد واه والقضاعي فى مسند الشهاب من حديث أبى هريرة باسناد فيه كذاب. وأبو ذر الهروى في السنة من طريق الضحاك معضلا واسناده ضعيف جداً وقد ثبت مايؤدى معنى صدره كما قال البيهقى وهو مافى صحيح مسلم عن أبى موسى مرفوعا النجوم أمنة أهل السماء فاذا ذهب النجوم أتى أهل السماء مايوعدون وأصحابى أمنة أمتى فاذا ذهب أصحابى أتى أمتى مايوعدون وفيه كما قال الحافظ الاشارة إلى الفتن الحادثة بعد انقراض عصر الصحابة

فى كثير من الآيات إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً فيجب على طالب العلم إتباع الحق الذى يصح به الايمان واعتقاده وتوحيده وعلمه حتى يكون عارفا بالله تعالى وعاملا فى الله ومخلصا لله والعلم النافع المنجى هو علم الشريعة والطريقة قال صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم باللسان فذلك حجة الله على العباد وعلم فى القلب فذلك هو النافع (١) وقال ﷺ خير الدنيا والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل (٢) · وقال فى كتاب الفردوس روى أبو أمامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رب عابد جاهل ورب عالم فاجر فاحذروا الجهال من العباد والفجار من العلماء (٣) · وقال على رضى الله عنه ماقطع ظهرى فى الاسلام إلا رجلان عالم فاجر وناسك مبتدع فالعالم الفاجر يزهد الناس فى علمه لما يرون من فجوره والناسك المبتدع يرغب الناس فى بدعته لما يرون من نسكه (٤) · وعن الشعبي رحمه الله أنه قال اتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدين فانهما آفة كل مفتون · وقال صلى الله عليه وسلم هلاك أمتى عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء (٥) وقال

---

(١) تقدم أول الكتاب

(٢) لم أجده

(٣) رواه ابن عدى فى الكامل قال حدثنا موسى بن عيسى الجزرى ثنا صهيب بن محمد ثنا بشار بن ابراهيم ثنا ثور عن خالد بن معدان عن أبى أمامة رضى الله عنه مرفوعاً به وبشار بن ابراهيم وضاع

(٤) لم أجد إسناده وقد ذكره أبو طالب المكي فى القوت معلقا وقال إنه رواه

(٥) لم أجد صدره وفي معناه مارواه الديلمى فى مسند الفردوس باسناد ضعيف عن ابن عباس مرفوعا آفة الدين ثلاثة فقيه فاجر وامام جائر ومجتهد جاهل وفى تاريخ الحاكم باسناد فيه مجهول من حديث أنس ويل لأمتى من علماء السوء وأما آخره فرواه الدارمى فى سننه من طريق بقية عن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال سأل

صلى الله عليه وسلم يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق (١) · قال صاحب العوارف قوله عباد جهال أراد أصحاب الرستاق فغالباً يحصل لهم أقل ضوء فى الباطن بسبب سلامة النفس وترك الفضول وكثرة الكلام ولا يكون لهم سابقة علم ولا يطيعون أمر شيخ ربانى عالم صمدانى فمثالهم كالشجرة الدقلة غير المثمرة مع الأزهار لانتشائها بنفسها ولم يصل إليها ضروب التربية فانها الأصل فى العبودية حتى لا يغتر بحاله ولا يعجب بنفسه ويكون مثال عبادتهم مع الجهل كالبنيان على الرماد ولا يكمل حالهم أصلا ولا يكون لهم علم الولاية أبدا لأنه ليس مبنياً على قانون الشريعة وآداب الطريقة فيغلب عليهم وساوس الشيطان وهواجس النفس فيدلهم على التلبس وترك الأسباب واكتساء الخلقان واظهار الأشكال الغريبة والأفعال العجيبة والاقامة فى المواضع المنكرة مع السكوت ليغتر الناس بها فتقضى بهم هذه الأحوال والافعال والاشكال الى اصطياد الناس والصيت بينهم بطريق الرياء والسمعة استجلابا

رجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الشر فقال لا تسألونى عن الشر واسألونى عن الخير يقولها ثلاثا ثم قال إلا أن شر الشر شرار العلماء وخير الخير خيار العلماء وهو مرسل ضعيف لعنعنة بقية وضعف الأحوص وفى مسند البزار والحلية باسناد ضعيف عن معاذ قال تعرضت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يطوف بالبيت فقلت يارسول الله أى الناس شر فقال اللهم اغفر سل عن الخير ولا تسأل عن الشر شرار الناس شرار العلماء فى الناس

(١) رواه الحاكم فى الرقاق من المستدرك وأبو نعيم فى ترجمة ثابت من الحلية وابن عدى فى الكامل وابن النجار في التاريخ من طريق يوسف بن عطية عن ثابت عن انس مرفوعا به قال أبو نعيم هذا حديث غريب من حديث ثابت لم نكتبه إلا من حديث يوسف بن عطية وهو قاض بصرى فى حديثه نكارة وقال الذهبي فى تلخيص المستدرك يوسف بن عطية هالك

للرزق فهم الدجالون الشاذون لهذه الأمة اختاروا الدنيا الفانيه على الآخرة الباقية . وقال صاحب العوارف لاشك أن النفس مجبولة على الباطل ومتنفرة عن الحق والدليل على ذلك حكاية نوح عليه السلام ودعوته الناس تسعمائة وخمسين سنة فلم يتبعه إلا تسعون نفساً والسامرى كان كافراً - وعالما بالسحر فعمل بيده عجلا من الحلى ونفخ فيه وظهر فيه صوت رعد فدعا الناس اليه وقال هذا إلهكم وإله موسى فقبل منه سبعون ألفا واتبعوه فعلم من هذا البيان أن أصل العرفان لايظهر إلا لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد حتى يرى الحق بالحق والباطل بالباطل . وقال صاحب العوارف ولهذا قال ﷺ ماأتخذ الله ولياً جاهلا . (١) قال فان قيل رأينا من لا يكون له علم الصورة واصلا إلى حقيقة العلم . قلنا مسلم لهوهو نادر ولا حكم للنادر فان تبين ذلك فلا بد من لوازمه أن يوفقه الله بالعبودية على وفق أساس الشريعة لأن الجهل نتيجه النفس الأمارة بالسوء ومن لوازم أصحاب الولاية النفس المطمئنة ومن شرائط أهل الولاية أن يكون عالما بالأوامر الشرعية وسالكا فيها وكاملا فى عرفان الحقيقة وواصلا إليها ومحصلا لجميع ذلك حتى يتم له السلوك ويشرف بعالم الوصال فالله الله أيها الطالب الحذر الحذر من صحبة الأشرار فانهم قطاع طريق واعتصموا بحبل القرآن والأحاديث النبوية . وقال سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله تعالى اجتنبوا صحبة ثلاثة أصناف من الناس الجبابرة الغافلون والقراء المداهنون والمتصوفة الجاهلون فافهم ولا تغلط فالدين واضح

---

(١) تمامه على ما اشتهر على ألسنة الناس ولو اتخذه لعلمه قال الحافظ ليس بثابت ولكن معناه صحيح

باب في الاتحاد

والدليل على بطلانه

اعلم أنه قد وقع فى عبارة بعض المحققين لفظ الاتحاد اشارة منهم إلى حقيقة التوحيد فان الاتحاد عندهم هو الغلو فى التوحيد والتوحيد معرفة الواحد والأحد فاشتبه ذلك على من لا يفهم إشاراتهم فحملوه على غير محمله فغلطوا وهلكوا بذلك ﴿فصل﴾ الدليل على بطلان اتحاد العبد مع الله تعالى أن الاتحاد بين مربوبين محال فان رجلين مثلا لا يصير أحدهما عين الآخر لتباينهما فى ذاتهما كما هو معلوم فالتباين بين العبد والرب تعالى أعظم فاذاً أصل الاتحاد باطل وحيث يطلق الاتحاد ويقال هو هو لا يراد ماهو محال فى نفس الأمر وإنما يكون بطريق التوسع والمجاز كقول الشاعر أنا من أهوى ومن أهوى أنا فالشاعر لا يعنى أنه هو تحقيقا بل كأنه هو والعبد الموحد إذا عرف الحق الواحد وانتفت عنه الكثرة فهذا المقام سمى بلسان المجاز اتحادا وبلسان الحقيقة توحيداً بيان ذلك أن المؤمن معه نور هو سر الله تعالى يصاحب العبد به يطلب الله تعالى ويذكره وبه يريده ويعرفه وبه يوحده ويحبه ويشاهده ولولا ذلك النور من الله تعالى معه · لاطلبه ولا أراده ولا ذكره ولا عرفه ولا أحبه كما قيل لا يحمل عطاياه ولا مطاياه فمن رفع الله تعالى الحجاب عنه وأشرق على قلبه النور الربانى واستنار بالنور وخرج من ظلمة وجوده صار الحكم للغالب والله غالب على أمره فعند ذلك تعدم آثار بشريته لغلبة ماتأثر به من النور الربانى فيكون كما قال الشاعر ٭ أنا من أهوى ومن أهوى أنا ٭ ومن هذا الموضع قامت الدعوى وما تكلمت به الرجال والمحققون من الاتحاد والسبحانية لم يريدوا بذلك ظهوراً على العالم وافتخاراً عليهم وإنما أرادوا محو أنفسهم وإثبات الحق سبحانه وأيضا فى هذا المقام ربما يجرى على

لسان بعضهم هو الطالب والمطلوب وهو الذاكر والمذكور وهو المحب والمحبوب وهو الشاهد والمشهود إضافة إلى السر الذى يصاحبه من الله تعالى فعند ذلك يظن المحجوب الجاهل بسنة الله تعالى أنه اتحاد حقيقة وشبهوا ذلك بضوء السراج والكواكب مع نور الشمس وغلطوا فى ذلك فان ضوء السراج له وجود فى نفسه مااتحد بنور الشمس بل استتر عنه غلبه نور الشمس ولو كان هذا اتحادا لكان ينبغى إذا غربت الشمس أن يغرب معها ضوء السراج والكوكب وليس كذلك بل اتحاد العبد مع الرب تعالى وحلوله فيه محال باطل باجماع المسلمين الانبياء والاولياء ومشايخ الصوفية وسائر العلماء وليس هذا مذهب الصوفية وإنما هذا مذهب الطائفة الحلولية قالوا هذا اتحاد العبد مع الله تعالى لقلة علمهم وسوء حظهم من الله تعالى قال تعالى يريد الله أن لا يجعل لهم حظا فى الآخرة فشابهوا بهذا القول النصارى الذين قالوا فى عيسى عليه السلام اتحد ناسوته بلاهوته الناسوت هو الانسان واللاهوت هو الاله وكل ذلك باطل مردود واتحاد العبد بالله تعالى محال وأما من حفظه الله تعالى بالعناية الازلية إذا وصل الى هذا المقام علم أن هذا غلبة نور الحق سبحانه على نور العبد واستتار نوره فى نور الحق تعالى وليس اتحادا ولا حلولا وسموا هذا المقام مقام الجمع وجمع الجمع وعين الجمع لوجود القرب البليغ من الحق تعالى لا بالمكان بل بالقبول ورفع الحجاب وإظهار التجلى فى سره فان مشرب خواص العباد إنما هو من مشاهدة نور الحق سبحانه ومعنى الجمع على اصطلاحهم أن يشاهد الحق عند فعله بقلبه وجمع الجمع أن يشاهده بسره دائما ويشاهد مادونه وهو التمكين وهذا المقام إنما يتحقق للعارف بأن ينظر فى حال وجوده إلى نفسه فيراه كما كان فى حال العدم ويعرف أن قدرة الله التى معه اليوم هى القدرة التى كانت فى الأزل ويقول أنا أسير القدرة الأزلية أرى اليوم نفسى كما كنت فى الأزل فما كان له قبل الوجود اختيار فكذالك لا يكون له بعد الوجود اختيار فيكل أمره

إلى الله تعالى . قال الله تعالى فاتخذه وكيلا فلا يكون كما يريده هو بل يكون كما يراد به وهذا مقام التسليم والرضى بما قضى ﴿ فصل ﴾ لو كان العبد متحداً مع الله تعالى لكان ينبغي أن يكون عالماً بالذات كما أن الله عالم بالذات فوجب أن يعلم جميع المعلومات لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء كما أن الله تعالى كذلك ويستحيل فى العالم شيء لا يعلمه فان الله تعالى بكل شيء عليم لا يخفى عليه شيء ومن المعلوم ضرورة أن أمر العبد بخلاف ذلك وقد قال تعالى لخير خلقه قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم وقال تعالى يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى وقال ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء فهو الذى شرفه الله تعالى بقوله لولاك ما خلقت الأفلاك (١) ولما وصل ليلة أسرى به إلى مقام لم يصل إليه أحد قط من المخلوقات نادى إسرافيل وقال محمد حى كذا فوقفه (٢) الله العجز عن إتيان ثنائه فقال أولا أعوذ بعفوك من عقابك ثم عبر عن صفة الفعل وقال ثانياً أعوذ برضاك من سخطك فعبر عن صفات الذات وقال ثالثاً أعوذ بك منك وترقى من تلك المقامات واعترف بالعجز عن اتيان ثنائه فقال لا أحصى ثناء عليك (٣) فهذه مقامات شريفة وكرامات منيفة وهى مع هذا مخصوصة بصفة الاثنينية من حيث الاضافة إلى

---

(١) هو حديث موضوع ولكن معناه صحيح

(٢) هكذا بالأصل

(٣) فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدى على بطن قدميه وهو فى المسجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وكذا هو فى السنن الأربعة ومستدرك الحاكم

صفة أنت وأنا فعبر بالعواطف اللاهوتية حتى وصل بإيصاله إلى سرادقات الهوية ونطق بكمال توحيدات الأحدية بقوله أنت كما أثنيت على نفسك وإذا عرفت ذلك فى العلم فكذلك فى انقدرة فان الله تعالى قادر على جميع المقدورات ولا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ويعلم ضرورة أنه لم يقدر أحد من الأنبياء والأولياء على ذلك إذ لو كان قادراً لعمل لنفسه كل ما شاء حيث شاء ويؤخر فى أجله إذ أراد ذلك وكذلك السمع والبصر وجب أن يسمع كل المسموعات فى السموات والأرضين وما تحت الثرى فان الله لا يخفى عليه شىء من المسموعات والمبصرات وكذلك وجب لمن يدعى الاتحاد أن يحيا حياة لا يموت أبداً كما أن الله حى لا يموت أبداً ومعلوم من أحوال اناس خلاف ذلك ﴿ فصل ﴾ من ليس له قدم راسخ فى المعقولات ربما يغلط حين ينظر فى مرآة أو مياه لاح فيها صورته فيظن أن تلك الصورة هى صورة وجهه فى المرآة وليس كذلك وينظر فى المرآة ويرى وجهه فى المرآة وهو لا يشك أن وجهه ما حل فى المرآة ولا اتحد بها كذلك نور الحق تعالى إذا تجلى فى مرآة قاب العبد عند صفائه ما حل فى قلبه ولا اتحد به وكذلك المرآة المصقولة إذا حاذت جرم الشمس ينطبع فيها نور الشمس لا محالة فلا يكون النور المنطبع فيها نفس الشمس فكذلك نور الصفات والذات إذا ظهر فى مرآة القلب فلا يكون نفس الصفات والذات قال الله تعالى: (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) فالحق جل جلاله حين تجلى للجبل ما حل فى الجبل وإنما ظهر كما قلنا فى مثال المرآة فافهم فان الاتحاد والحلول باطل مردود شرعاً وعقلا وعرفا .

(مسألة) قد يذكر الاتحاد بمعنى فناء المخالفات وبقاء الموافقات وفناء حظوظ النفس من الدنيا وبقاء الرغبة فى الآخرة وفناء الأوصاف الذميمة وبقاء الأوصاف الحميدة وفناء الشك وبقاء اليقين وفناء الغفلة وبقاء الذكر ﴿ فصل ﴾ قول من قال: سبحانى ما أعظم شأنى لا إله إلا أنا فاعبدنى يحمل

على الحكاية وكذلك قول من قال أنا الحق وأنا الله محمول على الحكاية ولا يظن بهؤلاء العارفين الحلول والاتحاد لأن ذلك غير مظنون بعاقل فضلا عن المتميزين بخصوص المكاشفات واليقين والمشاهدات . وقال بعضهم معنى قول أبي يزيد رحمه الله إن صح عنه سبحاني ما أعظم شأني كقوله رحماني وربانى وسلطاني إضافة الى نفسه وما أعظم شأني إذ أنت سبحاني يعني أنت لي وقيل علو الهمة أجرى على لسان أبي يزيد سبحاني وعلى لسان غيره أنا الحق وأنا الله تحققا بقول النبي ﷺ تخلقوا بأخلاق الله (١) .

﴿ باب في ذكر الحلول والدليل على بطلانه والرد عليهم ﴾

قال رسول الله ﷺ إن الله احتجب عن أهل السماء كما احتجب عن أهل الأرض واحتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وأنه ما حل في شيء ولا غاب عن شيء وأن الملأ الأعلى يطلبون الله كما تطلبونه (٢) أنتم قوله ما حل في شيء لأن الحلول من خاصية الأعراض . وقوله وما غاب عن شيء إنما قال ذلك كيلا يشتبه على السامع فيظن أنه اذا لم يكن حالا في الأجسام كان بعيداً عن عوالم الأجسام . إعلم أن الحلول لا يتصور أن يقال إن الدهر الرب تعالى الله عن ذلك وذلك لأن المفهوم من الحلول أمران أحدهما النسبة التي بين الجسم وبين المكان الذي يكون فيه وذلك لا يتصور إلا بين جسمين فالرب مبرأ عن معنى الجسمية يستحيل في حقه مثل ذلك الثاني النسبة التي بين العرض والجوهر فان العرض قوامه بالجوهر فقد يعبر عنه بأنه حال فيه وذاك محال على كل ما قيامه بنفسه فلا يتصور الحلول بين عبدين فكيف يتصور بين العبد

(١) لم أقف عليه

(٢) لا أعرفه بهذا اللفظ وقد أخرج أبو الشيخ في العظمة باسناد ضعيف من حديث أبي هريرة بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور وفي أوسط معاجم الطبراني عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال

والرب تعالى فاذاً بطل الاتحاد والحلول لأن المعقول من الحلول إحاطة المحل بالحال كاحاطة الظرف بالمظروف فبطل قول النصارى أن اللاهوت حل فى الناسوت يعنى بطل قولهم بحلول الله تعالى فى جسد عيسى عليه السلام إذ لو فرض حلول اللاهوت فى هيكل المسيح لكان جسد المسيح أكبر مما حل فيه فيكون الجسد البشرى أكبر من الذات الالهى وأنه محال تعالى الله عن ذلك ﴿فصل﴾ وأما قول النبي ﷺ تخلقوا بأخلاق الله معناه اتصفوا بالصفات المحمودة أو

سألت جبريل هل رأيت ربك قال إن بينى وبينه سبعين حجابا من نور لو رأيت أدناها لاحترقت وفيه قائد الأعمش قال أبو داود عنده أحاديث موضوعة وذكره ابن حبان في الثقات وقال يهم وفى مسند أبي يعلى من حديث سهل بن سعد دون الله سبعو ألف حجاب من نور وظلمة فما تسمع نفس شيأ من حس تلك الحجب إلا رهقت نفسها وفيه موسى بن عبيدة لايحتج به ولمسلم من حديث أبي موسى حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهي اليه بصره من خلقه وروى الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يامحمد هل احتجب الله عز وجل عن خلقه بشيء غير السماوات والأرض قال نعم بينه وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور وسبعون حجابا من من نار وسبعون حجابا من ظلمة وسبعون حجابا من رفارف السندس وذكر حديثا طويلا وفي آخره أن الملك الذى يلى الله جل ذكره إسرافيل ثم جبريل ثم ميكائيل ثم ملك الموت وهو حديث موضوع فى سنده عبد المنعم بن إدريس كان يضع الحديث وهو الذى وضع الحديث الطويل فى وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى فيه أن عكاشة قام يطلب القصاص من النبى صلى الله عليه وآله وسلم فعرض عليه أبو بكر وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم أنفسهم فلم يرض بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم بدلا في القصاص الخ ماهو مشهور على ألسنة الناس متداول بينهم وكله كذب لايحل سماعه ولا التقرير عليه

تنزهوا عن الصفات المذمومة وليس معناه أن نأخذ من صفات القدم شيئاً .
مثال ذلك كمن يأخذ سراجا من سراج آخر ويأخذ علما من عالم آخر لا يأخذ من عين سراجه وعين علمه بل يحصل له من إشراق سراجه سراج آخر ومن إضافة علمه علم آخر فان صفات الله تعالى قديمة لا تصير صفة لغيره لاستحالة كون القديم صفة لحادث ولا يظن بالعقلاء المتميزين على أهل زمانهم بالعلم الراجح والعمل الصالح والمجاهدة وحفظ حدود الشرع الغلط بالحلول والاتحاد مع كون الله تعالى منعهم بالتوفيق والرعاية كما غلط النصارى فى ظنهم اتحاد اللاهوت بالناسوت فى حق عيسى عليه السلام ﴿ فصل ﴾ وأما الخبر الالهى كنت له سمعا وبصراً الحديث (١) فليس فى هذا الخبر أن العبد متحد بالله تعالى وأن الله تعالى يتحد بالعبد أو يحل فيه بل معنى قوله كنت له سمعاً وبصراً كقوله له خالقا ورازقاً بى يتخلق وبى يرتزق وهذا جواب كاف ولكن حقيقة الأمر فى ذلك أن المراد من قوله كنت له سمعاً وبصراً أى أتجلى له بصفة سمعى وبصرى فيتقوى بهذا التجلى ماسمعه الباطن وبصره الظاهر فيسمع بهذا التجلى مالم يكن يسمع من قبل ويبصر مالم يكن يبصر من قبل . مثال ذلك رجل صحيح الحاسة فى بيت مظلم وفيه أشياء لا يراها فلو أشعل مشعلة رأى بضيائها الأشياء الحاضرة ثمة ولا شبهة أنه إنما يراها بضياء المشعلة ولا شبهة أن ضياء المشعلة لم يتحد به ولم يصر جزءاً له وإن كان إنما يرى ما رأى بها وإيضاح ذلك أن نور الحق سبحانه إذا تجلى على نور العبد استتر نور العبد فى نور الحق تعالى كما يستتر نور الكواكب عند طلوع الشمس فيصير نور الحق غالباً ونور العبد مغلوبا فكان الحكم للغالب والله غالب على أمره فحينئذ ما بقى للعبد تصرف بنفسه وإنما تصرفه بربه تعالى لأن الله تعالى يصرف عنه دواعى الباطل ويزين له دواعى الحق ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان وذلك داعية الباطل

---

(١) تقدم فى ص ٤١

فحينئذ يعصمه من ارتكاب المعاصى ويحفظه من التقصيرات فى الفرائض وحدود الشرع وينكشف له جلية الحق ويصير مستغرقا به فان هو نظر إلى معرفته فلا يعرف إلا الله وإن نظر إلى توحيده فلا يرى غير الله وإن نظر إلى همته فلا همة له سواه فيكون كله مستغرقا به مشاهدة وهمة وذلك من حصل له طهارة الظاهر والباطن وتهذيب الأخلاق وتذويب النفوس فتبين بذلك أن الرب تعالى لا يتحد بالعبد ولا يتحد العبد بالرب فافهم ولا تغلط فان الحلول والاتحاد بطلانهما فى الاسلام أظهر من الشمس لورود النصوص فى القرآن برد ذلك قال الله تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم .

﴿ مسألة ﴾ تفسير الحلول نزول شيء فى شيء آخر على وجه يلازمه كحلول الرطوبة فى الماء واليبوسة فى النار أو كالبرودة فى الماء والحرارة فى النار فان ذلك لما حل فى ذلك الجرم يلازم محله على وجه يتنقل بانتقال محله ويقف بوقوف محله وينعدم بانعدام محله ﴿ فصل ﴾ إن الله تعالى محال فى حقه الحلول والجوار والاتصال بالمخلوق وعرفنا ذلك بالقرآن والحديث واجماع الانبياء والاولياء عليهم السلام . واعلم أن الحلول إنما حدث فى الاسلام من واقعات الجهلة المتصوفة حيث رأوا الله فى مناماتهم أقرب اليهم من حبل الوريد فظنوا أنه فيهم حال وليس ذلك حلولا وإنما هو وجدانك القرب كقرب ضياء الشمع فى البيت من هواء البيت وليس ذلك حلولا بدليل أنه لا يلازمه على وجه ينقلب مع محله وينعدم بانعدام محله ألا ترى أن الهواء يخرج من باب البيت وكواته ولا يخرج الضياء معه وينعدم الضياء الذى كان معه فى البيت إذا انطفى السراج ولا ينعدم الهواء فى البيت فدل على أن الضياء غير حال فى ذلك الهواء فى مسألتنا وقد يفكر السالك فى علم النفس والهواء فيرى فى المنام والحال أنه الرب فتكون الرؤيا صحيحة محتاجة إلى التاويل والتعريف والتعبير هنا أن ذلك الشخص يعبد عهد نفسه يحبها ويعمل لها ماتحب فيكون يعد من

اتخذ إلهه هواه قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وقال النبي ﷺ تعس عبد الدينار وعبد الدرهم الحديث (١) فيرى في الواقعة أنه الرب المعبود فيجب عليه أن يتجنب من طاعة النفس والهوى ويكسرها بالمجاهدة والرياضة ولا يظن ذلك المحال وبالله التوفيق

---

(١) تمامه وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه ان كان في الحراسة كان في الحراسة وان كان في الساقة كان في الساقة ان استأذن لم يؤذن له وان شفع لم يشفع رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه هذا ما يسر الله كتابته على هذا المؤلف ولم آل جهداً في تنقيحه وتهذيبه فالحمد لله على ما ألهم وعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ·

تنبيه وقع في ص ٥٢ عبارة مختلة صححناها من كتاب التعرف الذي نقلها منه المؤلف وها هي مصححة · وإن قلت كيف فقد احتجب عن الوصف ذاته وإن قلت أين فقد تقدم المكان وجوده وإن قلت ماهو فقد باين الأشياء هويته لا يجتمع صفتان لغيره في وقت ولا يكون بهما على التضاد فهو باطن في ظهوره ظاهر في استتاره فهو الظاهر والباطن القريب البعيد امتناعا بذلك من الخلق أن يشبهوه .

تنبيه آخر وقعت أحاديث وآثار في جواب عز الدين ابن عبد السلام المنقول في ص ٢٣ فما بعدها وحيث فاتنا عزوها لمن خرجها هناك استدركناه هنا تتميما للفائدة

ففي ص ٢٤ ذكر أنه روى عن ابن عباس في تفسير انما يخشى الله من عباده العلماء أن المراد العلماء بالله الذين يخافونه وهذا رواه ابن المنذر

وفيها حديث تقديم التسبيح عقب الصلاة على التصدق بفضول الأموال وكتبنا عليه أنه فى صحيح مسلم عن أبى ذر والواقع أن حديث أبى ذر ليس فيه ذلك انما هو فى حديث أبى هريرة عند الشيخين وفيها حديث أقرب مايكون العبد من الله وهو ساجد رواه مسلم من حديث أبى هريرة وتمامه فأكثروا فيه الدعاء

وفيها حديث خير أعمالكم الصلاة رواه الطبرانى من حديث عبادة بن الصامت باسناد ضعيف وروى أيضا من حديث سلمة بن الأكوع استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن أفضل أعمالكم الصلاة ولن يحافظ على الصلاة الا مؤمن وسنده ضعيف لضعف الواقدى وروى فى الأوسط من حديث أبى هريرة الصلاة خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر وفيه عبد المنعم ابن بشير لايحتج به

وفيها حديث سؤال النبى عليه وآله الصلاة والسلام عن أفضل الأعمال فقال إيمان بالله قيل ثم ماذا قال جهاد فى سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور رواه الشيخان من حديث أبى هريرة

وفيها حديث سؤال النبى عليه وآله الصلاة والسلام عن أفضل الأعمال فقال بر الوالدين رواه الشيخان عن ابن مسعود قال سألت النبى صلى الله عليه وآله وسلم أى العمل أحب الى الله قال الصلاة على وقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله وللعلماء فى الجمع بين هذا الحديث والذى قبله طرق ذكرها أخونا العلامة المحدث السيد أحمد فى كتابه مطالع البدور بجوامع أخبار البرور

وفى ص ٢٦ حديث إنى لأرجو أن أكون أعلمكم بالله الخ ينظر تخريجه فى ص ٣٧ وفيما بعده وهو

حديث انكاره عليه و آله الصلاة والسلام على الناس الذين استقلوا قيامه

وصلاته الشيخان عن أنس قال جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه واله وسلم قد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر الحديث وفي آخره فجاء اليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني .

تصحيحات

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٥	٥	تنفيذة	تنفيذه
٥	٢٤	للصحيج	للصحيح
٦	٨	أيو	أبو
١٠	٤	يعهد	يعهده
١١	١٦	الخياظ	الخياط
١١	٢١	يدان	يدان بها
١١	٢٢	الاحدوثه	الاحدوثة
«	«	المال بها	المال
١٢	١٦	المشايح	المشايخ
١٥	٥	المبتلين	المتشبهين
«	٧	ى	في
١٨	٦	متنكسة	متنسكة
١٩	٦	سررة	السورة
٢٠	١	ومعى	ومعنى
٢٤	١٦	التسييح	التسبيح
٢٥	١٧	بترتب	يترتب
٢٨	١٤	في	وفي
«	«	مع	ومع
٢٩	١	يظار سكوت	سكوت نظار
٢٩	٢٢	المتسومين	ومن المتسوفين من
٣٢	١	بالقائلين	بالقابلين
«	٢٠	رخبوا	خربوا
٣٤	٢٥	وأزن	وأن
٣٧	٤	معه	منه
٣٩	٢٤	كثرته لنوع	كرته نوع
٤٦	١٨	إذا	إذ
٤٩	١٢	فيحبب	فيوجب
٥٤	٨	فيا	فيما
٥٥	٧	المشايح	المشايخ
٥٦	٤	الأبعة	الأربعة
٥٧	٥	المعيرين	المعتبرين
٦٠	١	واحدانية	وحدانية
٦٣	٢١	والعظاء	والعظمة
٦٤	٢٢	نصر	نص
٦٦	١٧	سيء	شيء

فهرس مباحث الكتاب وتعليقاته

صحيفة

٤ مبحث حديث أبى فى قصة موسى مع الخضر
٥ مبحث حديث عمر فى سؤال جبريل عن الاحسان
٥ مبحث حديث أن من العلم كهيئة المكنون
٦ مبحث حديث الايمان قول باللسان ورد طعن الدارقطنى فى راويه أبى الصلت
٧ مبحث حديث العلم علمان وتحرير الكلام فى إسناده
٧ مبحث حديث طلب الحق غربة
٨ مبحث حديث بدأ الاسلام غريباً وذكر من رواه من الصحابة
٨ مبحث حديث سألت جبريل عن علم الباطن
٩ مبحث حديث لكل آية ظهر وبطن وتحرير الكلام فى إسناده
٩ معنى الظهر والبطن والحد والمطلع
١٠ قول ابن مسعود أن عليا عنده علم الظاهر والباطن
١٠ قول ابن عباس كنا نتحدث أن النبى عهد إلى على سبعين عهداً
١١ وصية على لكميل بن زياد وهى أشهر كلامه فى التصوف
١٢ قول ابن الصلاح لبس الخرقة من القرب
١٣ استنباط لبس الخرقة من السنة
١٣ ذكر سند الخرقة
١٤ إثبات سماع الحسن من على بالسند الصحيح
١٤ قول الشافعى صحبت الصوفية
١٥ مدح التاج السبكى للصوفية ورده على من لمزهم بسوء
١٦ ذكر كرامة لأبى بكر رضى الله عنه
١٦ ذكر كرامات لعمر رضى الله عنه

صحيفة

١٨ مبحث الوقف على الصوفية وتصحيح النووى صحته
١٨ قول الغزالى من مقاصد القرآن تعريف منازل الطريق
١٩ مبحث حديث إنه ليغان على قلبي والكلام فى معنى الغين
٢٠ مبحث حديث إن لكل قول حقيقة وتحرير الكلام فى إسناده
٢١ نسبة علم الحقيقة إلى الشريعة كنسبة المعانى إلى النحو
٢١ نص جماعة من أهل الأصول على أن أبواب التصوف من الفقه
٢٣ جواب عز الدين ابن عبد السلام فى تفضيل الأولياء على العلماء
٢٤ تقسيمه العلماء بالأحكام إلى أقسام أربعة
٢٤ رده على من فضل العمل المتعدى على القاصر وتقسيمه القاصر إلى أحوال
٢٥ فائدة إذا استوى الناس فى المعارف الخ
٢٦ تفضيل العز ابن عبد السلام للأولياء على العلماء بظهور الكرامات منهم
٢٧ مبحث حديث يسأل العبد عن علمه ماذا عمل فيه وذكر من رواه
٢٨ مدح الكلاباذى للصوفية
٢٩ مدح الحافظ أبى نعيم لهم
٠٣ جد أبى نعيم كان أحد مشايخ الصوفية
٣٠ مدح القطب القسطلانى للصوفية وذمه الدخلاء فيهم
٤٠ مبحث الفقير والصوفى أيهما أعلى
٤١ مبحث الحديث القدسى من عادى لى وليا وذكر من رواه
٤٢ طعن الذهبى فى سند هذا الحديث والرد عليه
٤٣ كلام الغزالى فى فرق المغترين من المتصوفة
٤٦ كلام المؤلف فى متصوفة وقته
٥١ فصل فى ذكر العقيدة التى أجمع عليها الصوفية
٥٢ فصل اختلف فى صفات الأفعال هل هى قديمة أولا
٥٣ إجماع الصوفية على أن الله تعالى لا يرى فى الدنيا بالأبصار ولا بالقلوب

صحيفة

٥٤ تكذيبهم لمن ادعى رؤية الله تعالى
٥٤ فصل فى نعوت الصوفية
٥٥ الحسن بن على عليهما السلام أول الأقطاب
٥٦ حديث اللهم كلاءة ككلاءة الوليد وبيان من رواه
٧٥ ثناء الحافظين المنذرى والرشيد العطار على ابن الفارض
٨٧ الرد على الاباحيين من المتصوفة
٨٥ الرد على من قال بايمان فرعون لعنه الله
٨٦ فصل فى الرد على من زعم أن الولاية أفضل من النبوة
٨٨ فصل فى الرد على من أنكر على الأولياء اجتماعهم بالنبى يقظة
٨٨ فصل فى الرد على من أنكر عليهم اجتماعهم بالخضر
١٠٠ باب فى الاتحاد والدليل على بطلانها
١٠١ مسألة قد يذكر الاتحاد بمعنى الخ
١٠١ فصل قول من قال سبحانى
١٠٤ باب فى الحلول والدليل على بطلانه
١٠٥ فصل وأما قول النبى تخلقوا بأخلاق الله
١٠٦ فصل وأما الخبر الالهى كنت له سمعاً وبصراً
١٠٧ مسألة تفسير الحلول نزول شىء الخ
١٠٨ آخر الكتاب
١٠٩ تصحيح عبارة وقعت فى الكتاب مختلة
١٠٩ تخريج أحاديث لم تخرج داخل الكتاب

اطلبوا مطبوعاتنا القيمة

قرش	
٢	تحذير الخواص من أكاذيب القصاص (للسيوطى)
١	الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال
١	الباهر فى حكمه صلى الله عليه وسلم بالباطن والظاهر (للسيوطى)
١	نتيجة الذكر فى الجهر بالذكر
٤	تأييد الحقيقة العلية : وتشييد الطريقة الشاذلية (للسيوطى)
١	حصول الرفق بأصول الرزق (للسيوطى)
١	تبيين العجب بما ورد فى رجب لأمير المؤمنين فى الحديث للحافظ بن حجر العسقلانى
٧	المثنونى والبتار فى نحر العنيد المعثار
٦	الاستخراج لأحكام الخراج (لابن رجب الحنبلى)

قريبا سيظهر : فتاوى عز الدين بن عبد السلام

تطلب من ملتزمها الحاج شكاره بالصنادقيه

Bibliotheca Alexandrina
0410732